قبسات من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)

عرض للدروس الأخلاقية والرسالية
المستوحاة من حياته الشريفة

من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ
محمد اليعقوبي (دام ظله)

هوية الكتاب

اسم الكتاب: .....قبسات من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)
عرض للدروس الأخلاقية والرسالية: ..... الشيخ محمد اليعقوبي
الناشر : ..... دار الصادقين
الطبعة : الأولى/٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ

جميع الحقوق محفوظة لدار الصادقين للنشر والتوزيع

المقدمة:

حاجة البشرية إلى

علي بن أبي طالب (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية

حاجة البشرية إلى
علي بن أبي طالب(عليه السلام) : صوت العدالة الإنسانية[١]

فكرة صراع الحضارات:

تبلورت فكرة (صراع الحضارات) لدى الحكومات الغربية المستكبرة منذ اضمحلال الاتحاد السوفيتي وظهور علامات التفكك فيه باعتباره القوة المقابلة لهم، ولما كانت إيديولوجيتهم مبتنية على وجود أو إيجاد عدو حقيقي أو وهمي لإقناع شعوبهم بسياساتهم العدوانية والمخالفة لأبسط حقوق الإنسان واستمرارهم في ابتلاع خيرات الشعوب والتمدد والإثراء على حساب حرمان الآخرين والتي تبدو مبررة ظاهراً لمواجهة هذا العدو المفتعل فتنساق أممهم وراءهم وتنخدع بأباطيلهم.

اختراع العدو:

وكانت الجهة الجديدة التي أوهموا شعوبهم أنه عدوهم هو الإسلام، فضخموا من خطورته وبالغوا في التحذير منه ووجوب

(١) مقدمة كتبها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي لكتاب (علي بن أبي طالب: صوت العدالة الإنسانية) لمؤلفه (جورج جرداق) والمعاد طبعه حديثاً باللغة الإنكليزية. والكلمة مؤرخة بتاريخ: ٢٣ ذ.ق ١٤٢٢ المصادف ٢٠٠٤/١/١٦.

مواجهته، وتنفخ في ذلك كله الصهيونية العالمية التي لا تريد للعالمين المسيحي والإسلامي أن يقتربا؛ لأن في ذلك تهديداً لوجودهم، فكان همهم في خلق العداوة بينهم لتفريقهم عن بعضهم ولأنهم الوحيدون الذين يكنون عداوة ذاتية متأصلة للإسلام والمسلمين، وإلا فإنه لا توجد عداوة ولا منافرة ذاتية بين المسلمين والمسيحيين أي بما هم مسلمون ومسيحيون كما أخبر الله تبارك وتعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(المائدة:٨٢).

بوادر الوعي:

ولكن مما يؤسف له غفلة كلا الطائفتين عن هذه الحقيقة فضاعوا في النزاعات، ولكنني أرى بوادر الوعي لدى العالمين الإسلامي والمسيحي لهذه المؤامرة الصهيونية فأدركا معاً أن تقارب الحضارتين ممكن والالتقاء قريب، وأن هذا الصراع لا مسوغ له وتوجد دلائل على هذا الوعي كنتائج استطلاع الرأي الأوربي الأخير الذي كشف عن أن أكثرهم أجاب بأن الكيان الصهيوني هو مصدر القلق والإرهاب الأول في العالم، مضافاً إلى تصويت أكثر من ولاية في بلجيكا وكندا لمصلحة قطع العلاقات مع هذا الكيان.

العولمة:

وقد حاول المستكبرون فرض هيمنتهم على العالم وبالذات على الشرق المسلم لما يتمتع به من خيرات هائلة ومواقع ستراتيجية تمثل عصباً أساسياً لمصالحهم وقد جعلوا لذلك مصطلح العولمة الذي يريدون به جعل العالم كله يفكر ويسير ويتحرك ويعيش كما يريدون هم، وهو منطق المستكبرين دائماً كما ينقل القرآن الكريم عن فرعون ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾ (غافر:٢٩) ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف:٥١) وليس لأحد أن يخالفهم ويخرج عن دائرة نفوذهم ومصالحهم وإلا فالويل كل الويل له، ووظفوا لذلك آلة عسكرية ضخمة تطال أي متمرد عنهم، ومؤسسات اقتصادية تبتلع أي بلد وتغرقه في ديون وتضخمات لا ينجوا منها ليبقى يدور في فلكهم ولا تكون إرادته مستقلة عن إرادتهم، وسوقوا إلينا ثقافتهم الهزيلة وصنعوا لها رموزاً تافهة لنقتدي بها ونتأثر بها فكراً وسلوكاً ونظاماً، بعد أن صنعوا لأنفسهم هالة من الإعجاب والانبهار لتفوقهم العلمي والتكنولوجي، فحاولوا أن يكون هذا منطلقاً للتبعية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، ويجردونا عما نمتلك من قوة في هذه الجوانب يحسدوننا عليها ولا يرضون منا إلا بتركها.

مسؤولية الفكر:

من هنا وجب على مفكرينا عدة خطوات:

١- انفتاح الحضارتين على بعضهما والتعرف على حقيقة كل منهما من حيث المقومات والأهداف والآليات وغيرها فإنها خطوة كبيرة ومقدمة مهمة للالتقاء[١].

٢- عرض النماذج الكاملة من رموزنا ودراسة سيرتهم وتحليلها وبيان نقاط العظمة فيها وهم كثر بفضل الله تبارك وتعالى، وأولهم أكمل الخلق جميعاً محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب اخو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفسه، والأئمة الطاهرون وأصحابهم البررة؛ لأن من طبع الناس التأثر بالرموز الكبيرة الشهيرة والاقتداء بها، وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية هذا الأسلوب في التربية وهو الاقتداء بالنماذج الكاملة قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الأحزاب:٢١) فإذا لم نوفر للناس مثل هذه الأسوة فإنهم سينساقون وراء قدوات تافهة كالرياضيين والفنانين ونحوهم.

٣- أن نجيد لغة الخطاب والحوار مع الطرف الآخر، ونفهم

(١) راجع كتاب (المعادل الموضوعي) وهو الحلقة الثانية من سلسلة (نحن والغرب).

المداخل المناسبة لعقله وقلبه ونفسه، فلا يناسب أن اشرح للأوربي الغارق في الماديات بان سبب ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) على يزيد بأنه كان يشرب الخمر وينكح المحارم ويضرب بالطنبور ومثل الحسين (عليه السلام) لا يبايع مثله؛ لأن المخاطب لا يرى في ذلك أي مشكلة؛ لأنه يرى أن غايته في الحياة هو التمتع بهذه الأمور: الجنس والخمر والموسيقى فلا يوجد مبرر لخروج الحسين (عليه السلام)، لكن إذا عرضت يزيد كقاتل للنفس المحترمة بغير حق، ومصادر للحريات ويسرق الأموال العامة لينفقها على ملذاته الشخصية، ويثري بغير حق، وتسلّط بالقهر على رقاب الأمة من دون الرجوع إلى الشعب وممثليه، فسيكون المبرر للثورة عليه واضحاً ومثيراً للإعجاب.

هذه الأفكار التي عرضتها جمعها الأستاذ جورج جرداق في كتابه (صوت العدالة الإنسانية)، فهو مسيحي تعرف على عظيم من عظماء الإسلام، صنعته يد الرسالة فكان معجزتها كالقرآن لذا كان (القرآن مع علي وعلي مع القرآن)، وعاش في ظلال شخصيته المباركة واستلهم منها الكثير وقدمه لنا ببيان رشيق وفكر ينسجم مع ذوق الجيل وأفكاره، رغم أنه كتب قبل ما يقرب من خمسين عاماً (١٩٥٦) فتحدث فيه عن حقوق الإنسان كالحرية والعدالة والثورة ضد الظالم

والعبقرية والجمال والمبادئ، وقدمه لنا بدراسة تحليلية خرجت عن المألوف في تراجم الرجال وسيرهم نموذجاً صالحاً لتتأسى به البشرية وتستضيء بنوره حتى تتحقق إنسانيتها الكاملة وتسود العدالة ويسعد الناس وما ذلك على الله ببعيد.

الفصل الأول:
ما أحرانا أن نهتدي بعلي (عليه السلام)

قبس من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)[1]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

علي (عليه السلام) نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله):

أحاول أن أعرض اليوم باختصار بعض الدروس التي يمكن أن نستفيدها من حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيرته، فإن لنا فيه كما في ابن عمه وأخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة؛ لأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنص آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ (آل عمران:٦١)، ولم يكن معه بعد النساء والأبناء إلا علي بن أبي طالب، وقد سُئِلَ محمد بن عائشة عن أفضل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: فلان، فقيل له: ثم؟ قال فلان، فقيل له: ثم؟ قال فلان، فقيل له: ثم؟ قال: الناس بعد ذلك سواسية. فقيل له: لم تذكر علياً (عليه السلام)؟ فقال : يا هذا تسألني

([1]) ألقيت على طلبة الحوزة الشريفة بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١٠/١٢ م.

عن أصحاب رسول الله أو عن نفسه؟ قال: بل عن أصحابه. فقال : (ان عليا نفس رسول الله) إن الله تعالى يقول: {فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ} (آل عمران٦١) فكيف يكون أصحابه مثل نفسه؟!)[١].

فإذا كان (عليه السلام) نفس رسول الله وقد أمرنا بالتأسي بسنته ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب:٢١) فيكون الأمر شاملا لسنة أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيرته.

درس المعرفة الإلهية:

وأول درس نستفيده هو المعرفة التامة بالله سبحانه؛ فإن المعرفة بالله هي غاية الغايات وهي منتهى الآمال، وقد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)[٢]. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)[٣]. ويقول (عليه السلام): (أول الدين معرفته)[٤]؛ لذا كانت عبادته (عليه السلام) لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار، وإنما وجد الله

---

(١) انظر: البيهقي في المحاسن والمساوئ: محاسن علي (عليه السلام): ص٤٢

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٢٦٧ ، وإرشاد القلوب : ٢ / ٢٠٩.

(٣)مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣١٧ .

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١

سبحانه أهلاً للعبادة فعبده. ومن كلماته (عليه السلام): (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب)[1] هكذا كانت علاقته (عليه السلام) مع ربه.

وقد كانت هذه العلاقة هي محور حياته، فلا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً ولا يتقدم ولا يتأخر إلا في حدود وظائف العبودية وحقوق الربوبية، وتنسب إليه كلمة (ما رَأَيتُ شَيئاً إلاّ ورَأَيتَ اللهَ فيهِ أو قَبلَهُ أو مَعَهُ)[2]، يريد ناقلها أن يقول إن ابن أبي طالب (عليه السلام) كان يعيش في رحاب الله، وإنه لم يغفل عنه ولا لحظة، ويرى الله في كل شيء، وهو معنى صحيح لكنه لم يبين سموّ مرتبته (عليه السلام)، وهو لم يكن يرى غير الله سبحانه في كل شيء في هذا الوجود، وما هذه الأشياء التي حوله إلا مرآة عاكسة للحق تبارك وتعالى، وهي فانية فيه لم يكن يلحظها (عليه السلام) وإنما يلحظ صورة الحق التي تتجلى فيها.

تهذيب النفس:

(١) البحار: ج٧٤ ص٤٠٠.

(٢) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري: ١٨٩، الأسفار الأربعة: ١١٧/١ نحوه.

هكذا كان (عليه السلام) في ذكر دائم لله وحياة مستمرة في رحاب الله سبحانه وحركة دؤوبة لنيل رضاه، وإذا اقتضت طبيعته البشرية أن ينام ويأكل وينكح مما يعدّه تقصيراً في وظائف العبودية الكاملة فإنه كان يستغفر لذلك أشد الاستغفار، ويبكي أشد البكاء، رغم أن هذه الأمور غير اختيارية.

وعنه (عليه السلام) انه قال: (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة فان الجنة فيها رضا نفسي، والجامع فيها رضا ربي)[1]. فهو (عليه السلام) ما خُيّر بين أمرين لله فيهما رضا إلا اختار أشدَّهما على نفسه، لأنه يريد أن يقدم كل شيء قربة إلى الله سبحانه، وأهم شيء يملكه الإنسان هي نفسه، فأمات نفسه بمعنى أنه ضحّى بغرائزه وبميوله وبنزعاته في سبيل نيل رضا الله.

المعية الإلهية في أحرج الظروف:

في معركة الخندق حيث نازل عمرو بن عبد ودٍّ فارس قريش وبطلها ثارت بينهما غبرة، فلما انجلت رأى المسلمون علياً على صدر عمرٍو يريد أن يحتزّ رأسه، لكنه قام عنه ثم عاد إليه وذبحه، فسُئله رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك، فقال: (قد كان شتم

(١) البحار: ج٨٠ ص٣٦٢.

أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله)[١].

هكذا كان علي (عليه السلام) لم يغفل عن الله سبحانه حتى في أحرج اللحظات وأحلك الظروف. ولمعرفته الكاملة بالله سبحانه كان إذا وقف بين يديه ترتعد فرائصه وربما خرّ مغشياً عليه.

عن أبو الدرداء قال: شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه ... فافتقدته وبعد علي مكانه ، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول : إلهي، كم من موبقة حملت عني فقابلتها[٢] بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك.

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاستترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله أن قال: إلهي، أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي. ثم قال: آه إن

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٨.

(٢) في نسخة: حلمت عن مقابلتها، وهما بمعنىً واحد، يقال حمل عنه: أي حلم وصفح وستر.

أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملا إذا أذن فيه بالنداء. ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى ... قال: ثم أنعم[١] في البكاء، فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر. قال أبو الدرداء فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك وزويته[٢] فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي ابن أبي طالب. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة (عليها السلام): يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله - يا أبا الدرداء - الغشية التي تأخذه من خشية الله ... فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٣].

وكان (عليه السلام) كثير العبادة يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[٤]، بحيث أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) الذي لقّب بالسجّاد وزين العابدين لكثرة عبادته وطول سجوده كان ينظر في صحيفة فيها ذكر لعبادة جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا تأمل

---

(١) أي أطال وزاد، وفي نسخة: انغمر.

(٢) زوى الشيء: جمعة وقبضه.

(٣) أمالي الصدوق: ص١٣٦.

(٤) انظر حلية الأبرار: ج٢ ص١٧٣.

بها أطال النظر ثم رماها ولم يتحمل ما فيها وهو يقول: أين عبادتي من عبادة جدي أمير المؤمنين (عليه السلام)[١].

في معركة صفين وفي ليلة الهرير التي وصفت بأنها لا يسمع فيها إلا صوت الحديد على الحديد كأصوات الرعد في السماء، وإذا هو قائم (عليه السلام) يصلي[٢]، وقال له ابن عباس في صفين: (يا أمير المؤمنين ما هذا الفعل؟ حيث كان (عليه السلام) يراقب الشمس، فقال له: أنظر الى الزوال حتى نصلي، فقال له ابن عباس: هل هذا وقت الصلاة؟! إن عندنا لشغلاً عن الصلاة! فقال له (عليه السلام): فعلى ما نقاتلهم؟! إنما نقاتلهم على الصلاة!)[٣].

التراث العلوي:

ويكفيك أن تقوم برحلة بين دعاء الصباح والمناجاة الشعبانية ودعاء كميل، وتسرح نظرك في نهج البلاغة لتخرج بحصيلة وافرة من المعرفة بالله سبحانه:

(فَلَئِنْ صَيَّرْتَنى لِلْعُقُوباتِ مَعَ أَعْدائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْني وَبَيْنَ أهلِ بَلائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْني وَبَيْنَ أَحِبّائِكَ وَأَوْلِيائِكَ، فَهَبْني يا إِلهي وَسَيِّدِي وَمَوْلايَ وَرَبّي صَبَرْتُ عَلى عَذابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ،

(١) انظر: البحار: ٦٣ ص٣٢٠.

(٢) انظر: البحار: ج٤١ ص١٧.

(٣) ارشاد القلوب: ص٢١٧، والبحار: ج٨٣ ص٢٣.

وَهَبْني صَبَرْتُ عَلى حرِّ نارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إلى كَرامَتِكَ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النّارِ وَرَجائي عَفْوُكَ)[١].

(لا إلهَ إلاّ أَنْتَ، سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلا يَخافُكَ، وَمَن ذا يَعْلَمُ ما أَنْتَ فَلا يَهابُكَ)[٢].

(إلهي إنْ حَرَمْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَرْزُقُني، وَإنْ خَذَلْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَنْصُرُني ... إلهي إنْ أَخَذْتَني بِجُرْمي أَخَذْتُكَ بِعَفْوِكَ، وَإنْ أَخَذْتَني بِذُنُوبي أَخَذْتُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، وَإنْ أَدْخَلْتَني النّارَ أَعْلَمْتُ أَهْلَها أَنّي أُحِبُّكَ، إلهي إنْ كانَ صَغُرَ في جَنْبِ طاعَتِكَ عَمَلي، فَقَدْ كَبُرَ في جَنْبِ رَجائِكَ أَمَلي)[٣].

من ملامح أمير المؤمنين (عليه السلام):

لقد رسمت هذه المعرفة المتكاملة بالله سبحانه فلسفته في الحياة، وحددّت ملامح شخصيته والتي منها:

١- **الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بزخارفها؛** لأنه يعلم أنها فانية ولا تستحق شيئاً بإزاء ما أعدّ الله سبحانه في دار الكرامة لمن أعرض عنها، وفي الحديث (لو أن الدنيا تعدل

(١) مفاتيح الجنان: ص٩٢

(٢) السابق: ص٨٨.

(٣) السابق: ص١٩٣.

عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء)[١]، وكان هذا الإعراض عن الدنيا شرطاً لتشريفهم بهذا المقام الرفيع، ففي دعاء الندبة: (إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعيمِ الْمُقيمِ الَّذي لا زَوالَ لَهُ وَلاَ اضْمِحْلالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ، وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّريعَةَ إِلَيْكَ وَالْوَسيلَةَ إِلى رِضْوانِكَ)[٢].

يخاطب الدنيا (يا دنيا غرّي غيري، طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك)[٣]، يدخل بيت المال فيوزع كل ما فيه ويصلي فيه ركعتين، ويخرج ويقول ما مضمونه: والله ما كنزت من دنياكم، ولا أعددّت لبالي ثوبي طمراً[٤]، ولو خرجت منكم بغير الرداء الذي جئتكم به من المدينة لكنت

---

(١) بحار الأنوار:٤٣/٢٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ص٥٧٨.

(٣) نهج البلاغة: ٤/١٧ من كلماته وحكمه (عليه السلام).

(٤) نهج البلاغة: ٣/٧٠، من كتاب له (عليه السلام) إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري يزهده في الدنيا.

خائناً. رقّع مدرعته حتى استحيا من راقعها[١]، وكيف يغتر بالدنيا وترنوا عينه إليها أو يطمع في شيء من حطامها وبين يديه قوله تعال: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ، وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٣٣-٣٥) بل إن ابن أبي طالب لا يرضى بالآخرة ثمناً. يقول بعض أهل المعرفة: (إن الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرامان على أهل الله)[٢] وعلي (عليه السلام) من أهل الله، فهل تتوقع أن تشغله لذّات الآخرة من لحم طير وحور عين فضلاً عن لذات الدنيا عن ﴿رِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٧٢)؟ ومن الوضوح الذي لا يحتاج إلى بيان أن الدنيا التي أعرض عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما هي الدنيا المحللة لا المحرمة، فإن ترك المحرمات أول مراتب العصمة التي هي من شروط إمامتهم.

---

(١) نهج البلاغة: ٢/٦٠، خطبة ١٦٠.

(٢) عوالي اللئالي: ٤/١١٩.

٢- الشجاعة: كان (عليه السلام) يقول: والله لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت عنها مدبراً، ولماذا يُدْبر؟ ومم يخاف؟ وهل الخوف إلا نتيجة الحرص على هذه الدنيا والاهتمام بعلائقها؟ فإذا قطعها (عليه السلام) ولم تبقَ له رابطة وعلقة بها، بل همه كله في الله سبحانه، فلماذا يخاف؟ اسمعه يقول: (إن ألف ضربة بالسيف أهون على علي بن أبي طالب من ميتة على الفراش)[١] ويقول (عليه السلام): (إن ابن أبي طالب ليستأنس بالموت استئناس الطفل بمحالب أمه)[٢] وشجاعته وثباته أصبح مثلاً ورمزاً لكل بطولة، قيل له (عليه السلام): إذا حمي الوطيس وحالت الخيل والرجال بيننا وبينك فأين نجدك؟ قال: حيث تركتموني. وكان الأعداء قبل الأصدقاء يعلمون منه هذه الصفة، ففي معركة صفين حمل (عليه السلام) متنكراً فظهرت منه العجائب[٣]، فاختلف قوم معاوية أنه علي أم هو مالك الأشتر، فأمر معاوية الجيش أن يحمل حملة رجل واحد عليه، فلم يتزلزل عن موقفه، فقال معاوية: إنه علي (عليه السلام)، وإن مالك وغير مالك

---

(١) بحار الأنوار:٦١/٣٢.

(٢) بحار الأنوار:١٤١/٢٩.

(٣) أنظر: كشف الغمة: باب المناقب: ج١ ص٣٢٨.

أقلّ من أن يثبتوا في مثل هذا الموقف. ولا زالت كلمته ترنّ حينما خُضّب بدمه في المحراب في مسجد الكوفة (فزت ورب الكعبة)[١].

٣- **الثبات على الحق والإرادة الصلبة**، فلا تأخذه في الله لومة لائم، وعدم المداهنة والمجاملة على حساب الحق، وهي أمور طبيعية عند من يعيش الأهداف السامية التي ترتفع عن حضيض الماديات. قيل له: لو أبقيت معاوية أياماً حتى تستتب لك الأمور، قال: هيهات، لا أطلب الحق بالجور، والله لا أبيت ليلة ومعاوية يلي أمور المسلمين[٢]. وعندما انعقد اجتماع الستة أهل الشورى وانقسموا نصفين، وكان الترجيح بيد عبد الرحمن بن عوف، فقال لعلي: امدد يدك أبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسير بسيرة الشيخين[٣]، قال: أما العمل بكتاب الله وسنة رسوله فنعم، وأما سيرة الشيخين فلا. فصفّق على يد الآخر الذي استجاب لما يريد، ولو كان علي (عليه السلام) مثلهم يعيش للدنيا

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٣٨٥.

(٢) أنظر: الغارات: ج١ ص٤٥، والحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام): ص٦١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٣/١.

لكان مستعداً لأن يعطيهم ما يريدون لينال ما يريد. جاءه أخوه عقيل يوماً طالباً زيادة عطائه، فإنه كثير العيال، فأحمى له حديدة ورماها إليه، فظنها عقيل صرة مال، فرمى بنفسه عليها فاكتوى بحرّها، قال (عليه السلام): (أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ)[1].

٤- **الرحمة والرأفة بالمؤمنين** ومشاركته لهم في آلامهم، كان يتألم لعوائل الشهداء في صفين ويبكي لبكائهم، وإليه ينسب القول[2]:

ما إن تأوهت من شيء رزئت به
كما تأوهت للأيتـــام في الصغرِ

قد مات والدهم من كان يكفلهم
في النائبات وفي الأسفار والحضرِ

ونقل عنه أنه مرّ على دار سمع منه بكاء طفل، فسأل عن ذويه فقالت أمه أنها مشغولة بالطحن فسأل عن

(١) نهج البلاغة: ٢/٢١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣/٤٧.

أبيه قالت استشهد في صفين فبكى ومسح على رأس اليتيم وقال لأمه أما أن تسكتيه وأطحن أو بالعكس[١].

وهو القائل: (أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ[٢]، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ) (هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ)[٣].

وصفه عدي بن حاتم الطائي لمعاوية بأنه كان فينا كأحدنا.

٥- **اهتمامه بالموعظة وما يرقق القلب،** كالمسح على رأس اليتيم وتلاوة القرآن وذكر الموت، فقد سمع من حبيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً أن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: ذكر الموت وتلاوة

---

(١) انظر: منتخب موسوعة الامام علي (عليه السلام).

(٢) وهنا معنى يجب تطبيقه على جميع المستويات فنقول أأقنع أن يقال لي حجة الإسلام والمسلمين أو سماحة آية الله ... .

(٣) من كتابه المتقدم إلى عثمان بن حنيف.

القرآن، فتراه يوصي ولده الحسن (عليه السلام): (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ)[١].

اعترضت أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معضلة، فقالوا: نبعث لعلي (عليه السلام) ليحلّها لنا، فقال الثاني: لا، بل نحن نقصده؛ لأنه معدن العلم وأهل بيت الوحي، فبحثوا عنه فإذا به يغرس في بستان وهو يرتل القرآن، حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَيَحسَبُ الإنسَانُ أنْ يُترَكَ سُدَىً﴾ إلى آخر الآيات من سورة القيامة، وعيونه تذرف من الدموع[٢].

٦- **التواضع وعدم الاغترار بالمنصب والجاه،** فهو هو قبل المنصب وبعده، وهو رئيس دولة مترامية الأطراف لم تزينه الخلافة بل هو زانها، وإذا حق للخلافة أن تفخر فبعلي بن أبي طالب. كان يسير يوماً على دابته فالتفت، وإذا بقوم يسيرون خلفه، فنهرهم وترجل، فقال (عليه السلام): (ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا، فقال: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقون به في آخرتكم، وما

---

(١) بحار الأنوار:/ ٢١٧/٧٤ وتجدها في نهج البلاغة: ج٣ في ما كتبه إلى ولده الحسن (عليه السلام) منصرفاً من حاضرين في طريق صفين.

(٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢٧١/٣.

أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار)[١]. وعن جويرية بن مسهر قال: اشتددت خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لي: يا جويرية إنه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلا بخفق النعال خلفهم)[٢] فإن حب الجاه من أشد الأمراض القلبية، ويحتاج إلى مجاهدة عظيمة، لذا ورد في الحديث: آخر ما ينزع من قلوب الصديقين (حب الجاه).

٧- **الصبر والجلد في مواجهة الصعاب** ما دام أن ذلك في سبيل الله وبعين الله، وأعتقد أن من يمر بحياة أمير المؤمنين يجد من الشواهد الكثير على ذلك، ولا عجب فإن البلاء على قدر إيمان المرء كما في الحديث، لذا كان أكثر الناس بلاءً أكملهم.

بدأ حياة النصب والكفاح والمصاعب منذ نعومة أظفاره حين كان يتحمل مع ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أذى قريش في بداية الدعوة، ثم حوصر معه في شعب أبي طالب (عليه السلام) مروراً بمصاعب الهجرة والمبيت على الفراش ومعارك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ﴿بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ

(١) البحار: ج٤١ ص٥٥.

(٢) الكافي: ج٨ ص٢٤١.

وَتَظُنُّونَ بِاللَّه الظُّنُونَا، إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾(آل عمران: ١٥٢-١٥٣) ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(التوبة:٢٥).

وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويوم الهجوم على الدار، وتلك كانت المحنة الكبرى على قلبه حين عجزت السماوات والأرض عن تحمل الموقف، وهو يرى القوم يعتدون على ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقودون حجة الله بحمائل سيفه، ثم ابتزازه حقه خمساً وعشرين سنة، ثم الرجوع إليه بعد أن تغيرت الدنيا ومن فيها وتنكر له الأصحاب ونابذوه الحرب، واستشهد وهو يتجرع غصص المصائب، فقد انهار جيشه واستفحل أمر معاوية حتى كانت تصل غاراته إلى ضواحي الكوفة فلا يتصدى له أصحابه، فيدعوهم إلى الدفاع عن حرمات الإسلام فلا يجد مصغياً، ويقول: (وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا، وَرِعَاثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ،

وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً)[1] لشدة هذه المآسي التي توجع القلوب وتدميها، فكان في نهاية حياته يصعد على المنبر وينعى أصحابه الأوفياء عمار وابن التيّهان وذا الشهادتين ويبكي ويتمنى الموت[2]، ويقول: متى يبعث أشقاها؟[3] هكذا تجرع الغصص والآلام، وكلها كانت ثمناً يدفعه لكي يعيش لله.

٨- **الحفاظ على مصلحة الإسلام وحفظ كيان المسلمين ووحدتهم،** فرغم أن القوم غصبوا حقه إلا أنه لما علم أن بقاء الإسلام منوط بسكوته عن حقه سكت ولم يبخل عليهم بالنصيحة ولا تركهم في جهلهم يعمهون، بل كان يقيل عثرتهم ويصحّح خطأهم ويوجههم ويرشدهم ويفهمهم الصواب، وكان يمكنه ألاّ يتجاوب معهم ليكشف زيفهم وقصورهم وتقصيرهم، لكن ذلك يكون على حساب الإسلام، فتجاوز كل هذه الأنانيات وعمل مخلصاً لله.

---

(١) نهج البلاغة: ٦٩/١ خطبة ٢٧.

(٢) أنظر: نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٢.

(٣) البحار: ج٤٢ ص١٩٥.

فما أحرانا ونحن ننتسب إليه ونجاوره ونتكلم باسمه ونتقمص دوره أن نهتدي بهداه ونسير مسيرته؛ ليحشرنا الله تعالى في شيعته ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون:١١١).

الفصل الثاني:

إنما بلغ علي (عليه السلام) منزلته بالصدق

وأداء الأمانة

الفصل الثالث:
حتى لا نظلم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
ونُحرم من عطائه

حتى لا نظلم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ونُحرم من عطائه[١]

غربة علي (عليه السلام):

يظهر من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وخطبه أنه عاش غربة بين قومه، لجهلهم بمقامه الشريف ونزوعهم إلى حب الدنيا التي تزيّنت وتزخرفت بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة وارداتها فانساقوا وراء الشهوات فكان (عليه السلام) يوبخ أصحابه ويستعمل كل الوسائل لإيقاظهم واستنهاض هممهم ووعي مسؤولياتهم في طاعته (عليه السلام) واتباع أوامره، قال (عليه السلام) (أيها الناس إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأديتُ إليكم ما أدّتِ الأوصياء إلى من بعدهم، وأدَّبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوثقوا، لله أنتم! أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم إلى السبيل؟

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبرا، وأزمعَ الرجالَ عبادُ الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع وفد من القرية العصرية في مدينة الناصرية يوم ٨ رجب ١٤٢٩ المصادف ٢٠٠٨/٧/١٢ ومن حديث سماحته مع حشد من مسؤولي منظمات المجتمع المدني المنصوبة تحت هيئة (همم) في محافظة ذي قار يوم ١٥ رجب ١٤٢٩ وضيوف آخرين في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام).

يبقى، بكثيرٍ من الآخرة لا يفنى)[١] .

وازدادت غربته حينما فَقَد خُلّص أصحابه العارفين بفضله وسابقته إلى كل كمال حيث استشهد كثير منهم في صفين فكان (عليه السلام) يرتقي منبر مسجد الكوفة ويندبهم أشجى ندبة ويصفهم أجمل وصف فيقول (عليه السلام): (ما ضرّ إخواننا الذي سُفكت دماؤهم - وهم بصفين- ألاّ يكونوا اليوم أحياءً؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق! قد - والله- لقوا الله فوفّاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤوسهم إلى الفجرة (ثم ضرب بيده على لحيته الكريمة فأطال البكاء ثم قال) أوّهِ على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، احيوا السنة وأماتوا البدعة، دُعُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه)[٢].

وكان (عليه السلام) كثيراً ما يتمنى الموت للتخلص من مجاورة اللئام والذهاب إلى صحبة الكرام الأحبة محمد وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) وأصحابه المنتجبين، ومن كلماته في ذلك (لوَددتُ

---

(١) نهج البلاغة من الخطبة (١٨٢).

(٢) السابق.

أن الله فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم)[١] لأنه يرى نفسه يعيش وسط حثالة لا يذكرون إلا بالذم قال (عليه السلام) (أين أخياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم! وأين المتورعون في مكاسبهم. والمتنزّهون في مذاهبهم؛ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصّة، وهل خُلفتم إلا في حثالة، لا تلتقي إلا بذمٍّهم الشفتان، استصغاراً لقدرهم، وذهابا عن ذكر هم؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون.)[٢].

وكان يأسف (عليه السلام) أن ينفضَّ الناس عن الهدى المتمثل به ولا تبقى تحت سيطرته من رقعة الدولة الإسلامية الكبيرة إلا الكوفة فيقول (عليه السلام) (ما هي إلا الكوفة، أقبضها وابسطها، إن لم تكوني إلا أنتِ، تُهبُّ أعاصيرك فقبّحكِ الله)[٣].

ويستغرب منهم حين يعصونه وهو الحق بينما يتفانى أصحاب معاوية في طاعته وهو إمامهم إلى الضلال فيقول (عليه السلام) (صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لَوَددتُ والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فاخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم.

واني لعلى بينةٍ من ربي ومنهاج من نبيي، وإلي لعلى الطريق الواضح

---

(١) البحار: ج٣٤ ص٩١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١٢٩).

(٣) نهج البلاغة، الخطبة (٢٥).

ألقُطُه لقطا) [١].

ويسبب ذلك فقد تنبأ بضياع دولتهم ونجاح دولة معاوية فقال (عليه السلام) (وإني والله لأظنُّ أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم.)[٢]

وقال (عليه السلام) (أما والذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظلم رعيّتي)[٣]

وكان كل أسفه (عليه السلام) لأنه يعلم بحقائق الأمور وعواقبها ومصير كل فريقٍ وهو القائل (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) ولكن أنى لتلك القلوب القاسية والعقول المغلوبة بالهوى أن تبصر بعين الحقيقة قال (عليه السلام) (ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصُعُدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون - ضرب الصدر للنياحة- على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها، ولا خالف عليها- ولهمّت كلَّ امرئٍ نفسُه، لا يلتفت إلى غيرها،

(١) نهج البلاغة، من الخطبة (٩٧).

(٢) نهج البلاغة من الخطبة (٢٥).

(٣) نهج البلاغة، من الخطبة (٩٧).

ولكنكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمِنتم ما حُذِّرتُم، فتاه عنكم رأيُكم، وتشتّت عليكم أمركم.)[1] فأسفه وحسرته كانت امتداداً لقول الله تبارك وتعالى ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾(يس:٣٠).

لكي لا نظلم أمير المؤمنين (عليه السلام):

هذه بعض كلمات أمير المؤمنين نقلناها لنحسَّ بمشاعره (عليه السلام) في غربته حتى كان يقول وهو يشير إلى صدره المبارك (إن هاهنا علماً جماً لو أصبت له حملة) لكن أصحابه ضيّعوه ولم يعرفوا قدره ولم يستفيدوا منه فظلموا أنفسهم وظلموه إذ حرموه من أن يقدّم ما عنده قال (عليه السلام) (ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي)[2].

وعلينا - نحن شيعة علي (عليه السلام)- اليوم أن لا نظلمه كما ظلمه أصحابه وان لا نحرم أنفسنا من عطائه كما فعل أصحابه، فانه وان غاب بشخصه الشريف عنا، إلا انه حاضر بيننا بكلماته ومواعظه وخطبه وسلوكه وسيرته وعلمه وجهاده وإخلاصه وإيثاره وفنائه في الله تبارك وتعالى وغيرها من الكمالات.

---

(١) نهج البلاغة، من الخطبة (١١٦).

(٢) نهج البلاغة، من الخطبة (٩٧).

شكوى نهج البلاغة:

ولنستفد من كل ذلك وكأنه (عليه السلام) يتحدث إلينا مباشرة ويجسّد تلك الفضائل والكمالات التي نقلتها الروايات وكأنه يعيش بيننا. وهذا يحتاج إلى صحوة وانتفاضة على واقعنا المر بابتعادنا عن (نهج البلاغة) وكل الآثار الشريفة التي سجلت مآثر وآثار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويكون ذلك من خلال عدة خطوات عملية حتى لو حصلت تدريجياً بحسب الاستطاعة.

١- اهتمام الخطباء والمبلغين والوعّاظ بنصوص نهج البلاغة فيفتتحون بها مجالسهم ويعتنون بشرحها واستخلاص الدروس منها وبيان ما تضمنته من حقائق ومعارف وعلوم، وهذا ما كنّا نعهده من السلف الصالح وقد ذكر جدّي لأبي الشيخ محمد علي اليعقوبي (رحمه الله تعالى) في ترجمة أخيه الشيخ مهدي (رحمه الله تعالى) وهو جدي لأمي في كتاب البابليات أنه (لا أبالغ إذا قلت أنه كان يحفظ ثلاثة أرباع نهج البلاغة عن ظهر قلب).

٢- أن يلتزم كلٌ منا بإمعان النظر في نهج البلاغة وغيره من الآثار التي سجلّت كلمات أمير المؤمنين كـ (غرر الحكم) للآمدي و(تحف العقول) وغيرها كلما سنحت له الفرصة من دون إهمال أو تضييع ويستذكر تلك المعاني الجليلة ليحيي بها قلبه وينوّر بصيرته ويصحّح طريقة حياته وهو

القائل (عليه السلام) (إنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد وعفّةٍ وسداد)[1].

٣- تشجيع الكتاب والمثقفين على استلهام جوانب العظمة التي أودعها أمير المؤمنين في كلماته وسيرته وتصنيف المواضيع التي تعرّض لها أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد تضمن نهج البلاغة معالجة قضايا عقائدية واجتماعية وأخلاقية وفلسفية وإنسانية واقتصادية وله (عليه السلام) السبق في السياسة والحكم وولاية أمر الناس والقضاء والفتوى وغيرها من المواضيع التي لو عكف عليها الباحثون والمتخصصون لا تحفوا البشرية بانجازات رائعة ونذكر منها كتاب (الإمام علي (عليه السلام) وحقوق الإنسان) الذي نال به الباحث درجة الدكتوراه بامتياز في كلية العلوم السياسية وطبعناه تكريماً له، وهذا غيضٌ من فيض ما ترشح عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذا كتاب (الراعي والرعية) في شرح عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر لما ولاّه مصر و (علي بن أبي طالب: صوت العدالة الإنسانية) وغيرها.

٤- إنشاء مكتبة متخصصة بآثار أمير المؤمنين (عليه السلام) وما

(١) نهج البلاغة، رسائل الإمام، من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دُعي إلى ولية قومٍ من أهلها فمضى إليها.

كُتب عنه والدراسات والبحوث التي تناولته وتجهّز بأحدث الوسائل في تقنية تبادل المعلومات والاتصالات.

٥- إنشاء فضائية خاصة بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) تبيّن فضائله ونشر علومه ومعارفه وتصوِّر مراحل حياته الشريفة وما أُثِرَ عنه وتعقد الندوات والحوارات عنه (عليه السلام) وإجابة الأسئلة وغيرها.

٦- السعي الجدي لدى إحدى الجامعات العالمية الرصينة لتخصيص كرسي للدراسات عن علي بن أبي طالب تحتضن الباحثين والدارسين وتمنح الشهادات الجامعية العليا وتستقبل البعثات الدراسية من الطلبة المتميزين من أنحاء العالم للتخصص في هذا المجال.

إنني لا ابتغي بوضع هذه الخطوات العملية مجرد تسطير الكلمات وحشو الصفحات وإنما لنسعى جميعاً وبكل جدّية ومصداقية وهمّة عالية لانجازها حتى نشهد نهضة عالمية تخرجنا من حد التقصير في حق أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا نكون كالذين ظلموه وحرموا أنفسهم من عطائه المبارك. كما وعى المسلمون غربة القرآن وهجرانه وشكواه وحرمانهم بتضييعه فعادوا إليه وانشئوا الجامعات والمحافل لتلاوته ودراسته والاستفادة منه والتخصص في علومه وغيرها، حيث شهدت السنوات الأخيرة حركة مباركة في هذا المجال.

الاحتفال الواعي:

إن إقامة المواليد وفعاليات الفرح في مثل هذه الذكريات العطرة اعني ذكرى ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) غير كافٍ للتعبير عن الاحتفال الواعي الرسالي بهذه المناسبات، نعم هي تمثل تعبيراً عن مستوى من المجتمع فالاكتفاء بها غير صحيح ما لم يقترن ببعض الخطوات التي ذكرناها، واقل ما يجزي فيها أن نتصفح كتاب نهج البلاغة ونستلهم منه ما يقدّر الله تبارك وتعالى لنا من رزق؛ كما إنني تصفحته في ذكرى الميلاد الميمون وخرجت بالنصوص التي افتتحت بها كلمتي هذه.

لنعرِّف العالم بعلي(عليه السلام):

وتأتي بعد ذلك الخطوة التي مرت بالرقم (٢) لأن من يسمع بأنك من شيعة علي (عليه السلام) فانه يتوقع أن يرى فيك أخلاقه وسيرته وسموّه، وبهذا الصدد نقل لي صديق مهندس كان مقيماً في ألمانيا انه وعائلته زار صديقاً عراقياً اسمه (علي) كان متزوجاً من ألمانية لغرض الحصول على الجنسية الألمانية بحسب قوانينهم، وكان يتوقع أن لا يجد المرأة الألمانية بالصفات المرغوبة لأن هذا الرجل لم يتزوجها إلا للغرض المذكور ولكنه رآها فوق ما يتصور وسألها عن سر قبولها بهذا الفتى مع عدم وجود المرغّبات الكافية فأجابت أنها

تزوجته لأنها تريد أن تعرف الإسلام من خلاله.

هكذا ينظر الآخرون إلى المسلمين والى شيعة علي (عليه السلام) خاصة وهذا يلزم كل واحدٍ منا بمسؤولية مضاعفة أن نكون عند حسن ظن نبينا وإمامنا (صلوات الله عليهما) وعند حسن ظن من أحسن بنا الظن.

إن إحداث مثل هذه الصحوة العالمية لنشر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وآثاره وعلومه ومعارفه كفيلة بإصلاح البشرية وإعادة مسيرتها إلى الطريق الصحيح وستساعدها على حلّ عقدها المستعصية ومشاكلها التي قادتها إلى اليأس والانتحار وستفتح أمامها آفاق حياة سعيدة بإذن الله تعالى.

الفصل الرابع:
يوم الغدير أساس وحدة المسلمين

يوم الغدير أساس وحدة المسلمين[1]:

بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) تتوحد الأمة:

يتحدث المسلمون بجميع طوائفهم عن ضرورة الوحدة ونبذ الخلاف ويعقدون المؤتمرات و الندوات والحوارات تحت هذا العنوان وتصرف الأموال الضخمة في هذا السبيل دون أن يتحقق تقدّم يذكر وربما ازدادوا بعداً عن بعضهم، فأين الخلل ولماذا هذا العجز عن الوصول إلى الحل؟

يدلّنا القرآن الكريم على ما تتحقق به الوحدة بين المسلمين فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).

---

(١) كلمة سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) التي ألقاها فضيلة السيد محمد الغريفي في الحفل الذي أقامته ممثلية المرجعية الرشيدة في العاصمة الألمانية برلين بمناسبة عيد الغدير الأغر لسنة ١٤٢٨المصادف ٢٠٠٧/١٢/٢٩، وألقاها سماحته في كلمة متلفزة الى قناة النعيم الفضائية ووجهها عبر الايميل الى احتفال يقام بهذه المناسبة عام ١٤٣٤ في مدينة موركنتاون التابعة لولاية ويست فرجينيا الامريكية بطلب من المؤمنين القائمين على هذا الاحتفال.

وقد وردت الروايات في تفسير الآية بأن حبل الله هو القرآن الكريم وولاية علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) من ذريته، فقد روي عنه (عليه الصلاة والسلام) قوله: (القرآن حبل الله المتين)[١] وفي تفسير القمي (الحبل: التوحيد والولاية)[٢] وفي تفسير العياشي عن الباقر (عليه السلام): (آل محمد (صلوات الله عليهم) هم حبل الله المتين الذي أمر بالاعتصام به)[٣].

وتشهد نفس الآية على هذا التفسير، لأنها ذكرت أن العرب كانوا أعداء متباغضين فوحدّهم الله تبارك وتعالى وجمع كلمتهم بنعمة الإسلام، وقد أشارت آية أخرى إلى أن تمام هذه النعمة ونظام عقدها ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائدة:٣) وقد روى المفسرون من الطائفتين أنها نزلت بعد تنصيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة ووليّاً وهادياً للأمة بعده يوم الغدير بعد حجة الوداع.

فنعمة الله التي توحّد المسلمين وتؤلف بين قلوبهم هي الإسلام، وتمامها وكمالها ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام).

---

(١) البحار: ج٦٥ ص٢٣٣.

(٢) تفسير القمي: ج١ ص١٠٨.

(٣) البحار: ج٦٥ ص٢٣٣.

وإلى هذا أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد أبيها(صلى الله عليه وآله وسلم) قالت (عليها السلام): (فجعل الله ... طاعتنا: نظاماً للملة، وإمامتنا: أماناً للفرقة)[1].

آثار ولاية علي (عليه السلام) في المعتقد والسلوك:

وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست قضية عاطفية تجاه شخصيته العظيمة حتى نكتفي بالمحبة والمودّة، ولا هي قضية تاريخية حتى يقال ما لكم تعيدون الماضي وتثيرون الخلافات القديمة، ولا هي عقيدة نظرية نكتفي بالإيمان بها من دون أثر عملي، وإنما هي باب ينفتح منه ألف باب من الاعتقادات والأحكام والآداب تكون برنامجاً كاملاً في المعتقد والسلوك على صعيد الفرد والأمة.

والأمة لم تقع فيما وقعت فيه من التخبّط والصراع والفتن المضلّة التي تسببت في إزهاق أرواح الأجيال بعد الأجيال من الأبرياء وخراب البلاد وانهيار الحضارة وعدم الاهتداء إلى الحق إلا بسبب عدم تمسكها بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها. وهذا ما دعا عبد الله بن العباس وغيره من الصحابة العارفين يتأوه إلى نهاية عمره مما حصل في رزية يوم الخميس -بحسب

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٣٣.

تسميته- التي سبقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأيام حينما طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فردّوا عليه بالكلمة المعروفة[١].

ويقول ابن عباس عن مسألة (العول)[٢] أي النقص في فرائض الميراث التي قال بها من لم يأخذ العلم من نميره الصافي وفندّها أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده (سلام الله عليهم) وفيها يقول عبد الله بن العباس بعد أن اثبت بطلان القول بالعول في رواية طويلة: قال (وأيمُ الله لو قدَّم من قدَّم الله وأُخّر من آخّر الله ما عالت فريضة))[٣] وهو يقصد بحسب الظاهر التقديم والتأخير في استحقاق الميراث، لكنه كان يريد معنى أعمق من ذلك بأن الأمة لو قدّمت لولاية أمرها من قدّمه الله تبارك وتعالى واختاره لخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نقصت فريضة أو عُطّلت سُنّة.

---

(١) أنظر البخاري: ج٥ ص١٣٨.

(٢) مثالها لو مات شخص وترك أبوين وزوجة وبنتين، فللأبوين السدسان وللزوجة الثمن وللبنتين الثلثان بحسب الفرض فأصبح المجموع ((٢٤/٨ + ٢٤/٣ + ٢٤/١٦) = ٢٤/٢٧) فالسهام أكبر من الفريضة فقالوا: ان الفريضة تعول هنا، أي تنقص ولا تفي بالسهام فوزّعوا النقص على الجميع بالنسبة، والصحيح المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام) ان بعض الورثة لهم سهام لا ينزلون عنها كالأبوين عن السدس، والزوجة عن الثمن، أما البنتان فينزل سهمهن عن الثلثين بقدار هذا النقص.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الميراث، أبواب موجبات الإرث باب ١٧ح٦.

وهذا المعنى صرّح به أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه، قال: (الحمد لله الذي لا مقدِّم لما أخر، ولا مؤخر لما قدّم) ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى ثم قال: (يا أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها لو كنتم قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وجعلتم الولاية والوراثة لمن جعلها الله ما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمر الله إلا وعند علي علمه من كتاب الله، فذوقوا وبال أمركم وما فرطتم فبما قدمت أيديكم وما الله بظلام للعبيد)[1].

استحقاق علي (عليه السلام) قبل الغدير:

إن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) للخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان سابقاً على يوم الغدير، أما الاحتفال الذي أقامه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غدير خم في طريق عودته إلى المدينة بعد حجة الوداع ودعا المسلمين إلى مبايعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالولاية والإمامة بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) تلبية لأمر الجليل تبارك وتعالى حيث انزل الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، أقول أما هذا الاحتفال فكان كاشفاً عن هذا الاستحقاق وإعلاناً رسمياً للتنصيب، وقد كان

(١) وسائل الشيعة: أبواب موجبات الأرث: باب٧ ح٥.

الكثير من الصحابة الأجلاء (رضوان الله تعالى عليهم) يعلمون أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) ويقرّون بولايته وعرفوا بتشيعهم له في وقتٍ مبكر من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل حديث الغدير.

فالنقاش إذن في دلالة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) أو المناقشة في نزول الآية في قضية الغدير لا يقدّم ولا يؤخر وهي شبهة مقابل البديهة -كما يقول العلماء- لأن حق أمير المؤمنين في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكتسبه من ذلك اليوم، بل استحقه بما يحمل من صفات تؤهله لهذا المقام الشريف.

وقد أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الاستحقاق في مناسبات عديدة سبقت قضية الغدير بسنين وكان بعضها- كحديث الدار- في وقت مبكر من البعثة في مكة المكرمة وفي حياة أبيه أبي طالب (رضي الله عنه) حتى تهكم بعض مشركي قريش من أبي طالب وقال له أن محمداً يدعوك إلى طاعة ولدك الصغير عليّ[1].

(١) أنظر الكامل في التاريخ: ج١ ص٤٨٦، والدر المنثور: ج٥ ص٩٧.

في سبيل توحيد المسلمين:

أيها الأحبة من كل طوائف المسلمين:

إنني أريد بهذا الكلام أن أقول أن الوحدة بين المسلمين تتحقق بالعودة إلى كتاب الله تبارك وتعالى وسنّته الشريفة الصحيحة بعد تنقيحها من التلاعب والتزوير والدس الذي قام به المنافقون، وحينئذ سيلتقي جميع المسلمين عند الحقائق التي يعلمها الله تبارك وتعالى.

لقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دوماً رسل محبة وسلام وألفة وهداية صلاح وكانوا حريصين على وحدة المسلمين وحفظ كيانهم قوياً عزيزاً كريماً، وضحوا بحياتهم الشريفة من أجل ذلك، خذ مثلاً أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كان يشعر بالمرارة والأسى لتضييع الأمة لحقه، ولكنه بقي خمساً وعشرين سنة صابراً محتسباً لم يدخر جهداً في نصيحة المتصدين وتقويم عملهم، ونصرة الإسلام والتضحية من أجل اعلاء كلمة الله تعالى، ولكنه ما إن تصدى للخلافة حتى أثاروها عليه حروباً شعواء أزهقت أرواح عشرات الآلاف من المسلمين وأضعفت شوكة الإسلام.

والتزم شيعتهم بنهجهم (عليهم السلام) فمنذ ألف وأربعمائة عام يقتلون ويعتقلون ويهجّرون ويعذّبون ويسجنون وهم لم يردوا بقتل الأبرياء أو تفجيرهم أو تقطيع اعضائهم وما إن وصل بعض الشيعة الى السلطة في العراق حتى انهالت على أهل العراق المفخخات

والاحزمة الناسفة وقطع الرؤوس والأيدي والأرجل وتهجير العوائل وغيرها من الجرائم الكبرى.

إن الوصول إلى الحقيقة وكشفها وبيانها للناس وظيفة العلماء الأجلاء والمفكرون وصنّاع الثقافة والرأي العام، ولا نصل إلى الحقيقة إلا بتحرير العقول من التقليد والتعصب والتحجّر وذلك بفتح باب الاجتهاد ودعوة العلماء الذين حصّلوا العلوم التي تؤهل لممارسة عملية استنباط الحكم الشرعي من مصادره الأصلية إلى عدم الوقوف على المذاهب المعروفة وتطبيق فتاوى أئمة المذاهب على الحالات التي تعرض عليهم وإنما يرتقون بمداركهم إلى استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة، وسيجد علماء المسلمين جميعاً أنفسهم عند تلك القمة السامقة متفقين متوحدين ينهلون من معين واحد ولا يختلفون إلا بالمقدار الطبيعي الذي يحصل بين علماء أي حقل من حقول العلم والمعرفة.

وقد وجدتُ خلال بحثي الفقهي الاستدلالي أن كثيراً من الروايات التي يستند إليها الفقهاء السنة والشيعة في استنباط الحكم الشرعي متطابقة الألفاظ فضلاً عن المعاني، ويعود الفضل في ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بنيه الطاهرين حيث بثوا عدداً ممن حملوا جملة من أحكامهم ومعارفهم ولا يجد المسلمون من غير أتباع أهل البيت حزازة في الأخذ عنهم كعبد الله بن العباس ونقل هؤلاء إلى عموم المسلمين علوم الشريعة من معدنها الصافي، وهذا نابع

من رحمتهم وحبّهم للناس جميعاً حتى وإن أعرضت الأمة عن إعطائهم المكانة التي يستحقونها.

أرجو أن يساهم السادة الحضور وكل من يسمع هذا النداء المخلص لتفعيل هذه الدعوة المباركة في أروقة حواضر العلم صانها الله تبارك وتعالى في بلاد المسلمين. وان يعوا مسؤولياتهم في هذه الظروف العصيبة التي يمرُّ بها المسلمون، والتي ستؤثر في بناء مستقبلهم بحسب طريقة تعاطيهم مع هذه القضايا الحساسة.

وأسأل الله تعالى أن يأخذ بأيديكم لما فيه الصلاح والإصلاح وأن يثبت لكم قدم صدق عند مليك مقتدر، إنه ولي النعم.

الفصل الخامس:
مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)
لا تتناهى كأعدائه

مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تتناهى كأعدائه[1]:

مع القصيدة الأزرية:

مما جاء في القصيدة الأزرية[2] المشهورة :-

(١) كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣/رجب/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٥/٢٤. وقد بثتها قناة النعيم الفضائية.

(٢) القصيدة الأزرية تناهز الألف بيتاً من الشعر ضاع منها حوالي نصفها، وهي ملحمة رائعة يندر وجود مثلها سُميت بقرآن الشعر أودع ناظمها المرحوم الشيخ كاظم الأزري فيها سيرة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومناقبهم وفضائلهم وفيها تاريخ حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه وفضائله بالتفصيل، ويحكى عن صاحب الجواهر (قده) انه كان يتمنى لو وضعت القصيدة الأزرية في ميزان أعماله ليلقى الله تعالى بها، ويضع كتابه الموسوعي العظيم (جواهر الكلام) في ميزان الأزري الذي توفي عام ١٢١١ هجرية وقيل ١٢٠١.

وقد خمّسها الشيخ جابر الكاظمي المتوفى سنة ١٣١٣هـ نذكر بعضا منها لينتشي متذوقو الأدب:

إن ربـــاً أولاه أعـظـم مَنٍّ ... وحباه بكل حسـنى وحُســـــنٍ

هو مذ شاء خلق إنـس وجنٍّ ... قلبَ الخـافـقـين ظـهراً لبطنٍ

يا ابن عم النبي أنت يد الله التي عمّ كل شـــيء نداها

خصّك الله في مآثـــر شـتى هي مثل الأعداء لا تتـناهى

حقاً أن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه فاقت الحصر هذا مع جهلنا وقصورنا، وبمقدار ما وصل إلينا، قال بعضهم (إن أولياء علي (عليه السلام) أخفوا مناقبه خوفاً وأخفاها أعداؤه حسداً وظهر بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين)[1]، يكفي أن نلتفت إلى واحدة من مناقبه (عليه السلام) وهو قول النبي الأكرم (صلى الله

فرأى ذات أحمد فاجتبـاها

ضمنت منه طيبة خير رمسٍ مستجاراً أمسى إلى كل نفسٍ

إن يبدّد به سما كل شمسٍ لســتُ أنســى له منازل قدسٍ

قد بناها التقى فأعلى بناها

بهم المعجزات زادت بروزاً بعدما كان كنزها مكـنوزا

فئة للغيــوب حلّت رمــوزاً لم يكونوا للعرش إلاّ كنوزا

خـافيات سـبحان من أبداها

(١) أنظر أعيان الشيعة: ج١ ص٤٧، وحلية الأبرار: ج٢ ص١٣٦.

عليه وآله وسلم) يوم الخندق (لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين)[1] وهي مطلقة لكل الجن والإنس إلى يوم القيامة، فهذا الحديث وحده يجعل ميزان أمير المؤمنين (عليه السلام) مفتوحاً للمزيد من الشرف والرفعة إلى يوم القيامة.

ليس الغريب في عشق علي (عليه السلام) بل في بغضه:

والمفروض أن إنساناً كاملاً له كل هذه الفضائل والخصال الكريمة أن يعشقه الناس ويذوبوا في حبّه، وقد عشق علياً فعلاً كثيرون ممن عرفوا شيئاً من فضله وسمّو ذاته واخلاقه، وذابوا في حبِّه حتى من غير المسلمين كما هو معروف، لكن الغريب أن يكثر أعداء علي (عليه السلام) بشكل عجيب حيث أبدع الأزري في تسجيل هذه المفارقة من خلال التشبيه بين فضائل علي (عليه السلام) وأعدائه في الكثرة، بحيث ورد في بعض كلماته (عليه السلام) قوله (فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضَنَنتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ على القذى وشربت على الشجن وصبرتُ على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم)[2] ،حتى سُبّ على المنابر سبعين عاماً، وتتبّعوا أولاده وشيعته قتلاً وتعذيباً وتشريداً، ولم تسلم من حقدهم حتى مراقدهم الشريفة،

(١) نهاية العقول في دراية الأصول: ص١١٤، والإحقاق: ج٦ ص٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٦.

يقول الشاعر في هدم المتوكل العباسي لقبر الحسين (عليه السلام) ومحو آثاره:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتــتبّعوه رمـيماً[1]

وجرائمهم المعاصرة في تفجير الروضة العسكرية المطهّرة ونبش قبر الصحابي الشهيد حجر بن عدي، ويتباهون بتلك الجرائم حيث يظهر أحدهم في الصور وهو يلوك قلب[2] أحد الجنود ليؤكّد انتماءه إلى تلك الفئة الباغية الضالة.

لماذا العداء لأمير المؤمنين(عليه السلام)؟

هذه الظاهرة الغريبة الموغلة في الانحطاط البعيدة عن منطق العقل والحكمة تستحق الدراسة لمعرفة الأسباب.

---

(١) أنظر: تاريخ الخلفاء: ص٢٧٧ ومستدرك الوسائل: ج٢ ص٢٤٠.

(٢) صُدم العالم بظهور صور فيديوية لأحد قادة المعارضة البارزين في سوريا وهو قائد كتيبة عمر الفاروق المستقلة في مدينة حمص غرب سوريا المدعو أبو صقار وهي من أبرز فصائل الجيش الحر وهو يقطع قلب وكبد أحد قتلى القوات النظامية السورية ويأكلهما وظهر وهو يقول (سنأكل قلوبكم وأكبادكم يا جنود بشار الكلاب) وقد أحرج الفلم الإئتلاف السوري المعارض ودول الغرب التي تدعمه خصوصاً أمريكا التي تتحدث هذه الأيام عن احتمالات تسليح المعارضة كما ظهر في صور أخرى وهو يطلق صواريخ على مناطق شيعية في لبنان محاذية للحدود.

ويمكن أن نسجّل هنا عدة أسباب أدّت إلى كثرة أعداء أمير المؤمنين(عليه السلام):

١- **ان علياً (عليه السلام) يمثل الحق،** قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (علي مع الحق والحق مع علي)[١] والناس تكره الحق قال تعالى (بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)(المؤمنون/٧٠)(الزخرف/٧٨)، وتروى عنه كلمته (عليه السلام) (ما أبقى لي الحق من صديق).

روى في كنز العمال أن عمراً سأل من تستخلفون بعدي فذكروا رجالاً منهم علي بن أبي طالب فقال ((إنكم لعمري لا تستخلفونه، والذي نفسي بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم)[٢] .

كان لا يجامل ولا يداهن في الحق، فيعمل به وان عاداه الناس او تسبّب في تفرق اصحابه، ومن كلماته (عليه السلام) (لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عنّي وحشة) روى الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (بعث علي بن ابي طالب (عليه السلام) إلى بشير بن عطارد التميمي في كلام بلغه عنه،

---

(١) راجع مصادره من كتب العامة في كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ١٣٥/٢-١٣٩.

(٢) كنز العمال: ٦/ ١٥٧، ح ٣٣٠١٦.

فمرّ به رسول علي (عليه السلام) إلى بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة -وقيل خارجة- الأسدي- وروي أنّه كان من شرطة الخميس - فأفلته، فبعث إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فآتوه به، فأمر به أن يضرب، فقال له نعيم: أما والله إنّ المقام معك لذلّ وان فراقك لكفر، قال: فلما سمع ذلك علي (عليه السلام) قال له: قد عفوت عنك، إن الله تعالى يقول: (ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) (المؤمنون/٩٦) أما قولك إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك إن فراقك لكفر حسنة اكتسبتها فهذه بهذه)[1].

٢- **عدله (عليه السلام)** مما سبّب حنق أصحاب الامتيازات والنفوذ والاستئثار والطبقيّة، وألبوا الناس عليه (عليه السلام)، وحينما جلس الستة أهل الشورى للتداول في أمر الخلافة بعد مقتل عمر ووافقوا أن يبايعوا علياً بشرط أن يعمل بسيرة الشيخين التي أوجبت التمايز والطبقية وهو ما رفضه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصرّ على أن يعمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتركوه وبايعوا عثمان.

(١) رجال الكشي: ٦٠.

وبعد وصوله (عليه السلام) للخلافة عبّأوا الجيوش لقتاله بتلك الأموال التي جنوها من السياسة غير العادلة، ولم يستمع (عليه السلام) إلى من أشار عليه بإبقاء معاوية في الشام وإعطاء طلحة طلحة والزبير العراق لدفع فتنتهم ولما عوتب (عليه السلام) على التسوية في العطاء قال (عليه السلام): (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليتُ عليه، لو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف وإنما المال مال الله)[1].

ومن كلام له (عليه السلام) بعد أن ردّ على المسلمين ما منحه عثمان من أراضٍ عامة (والله لو وجدتُه قد تُزُوِّجَ به النساء ومُلِكَ به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)[2].

٣- **الحسد،** لسمو منزلة علي حتى كان نفس رسول الله (صلى الله عليه واله)بنص الاية الشريفة آخاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأشركه في أمره وجعله إماماً وهادياً من بعده وألزم الأمة بولايته وهذه المناقب التي لا تحصى والدرجات الرفيعة أوجبت كثرة الحسّاد والمبغضين، قال تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ) (النساء/٥٤) وقد فسّرتها الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الكافي

(١)نهج البلاغة/ الخطبة ١٢٣.

(٢) نهج البلاغة/ الخطبة ١٥.

(نحن الناس المحسودون على ما أتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين)[1].

واعترف غاصبوه حقّه في الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن قريش كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فتذهب بالفخر كله.

وفي ذلك قال الشاعر مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام):

إن يحسدوك على علاك فإنّما متسافل الدرجات يحسدُ من علا[2]

٤- انه (عليه السلام) كان ناصحاً للأمة يبيّن لها طريق الرشاد ويصحّح أخطاءها ولا يجامل ولا يداهن، والناس لا يحبون من ينصحهم ويهدي إليهم عيوبهم قال تعالى (وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاّ تُحِبُّونَ النّاصِحِينَ) (الأعراف/٧٩) وكان (عليه

(١) الكافي: ١/١٥٩ ح١.

(٢) البيت لعلاء الدين الحلي، من أكابر العلماء والأدباء في القرن الثامن الهجري حيث يقول:

يكفيك فخراً أنّ دين محمّـــد لولا كمالك نقصه لن يكمـــلا
وفرائض الصلوات لـولا أنّهـــا قُرنت بذكرك فرضُها لن يُقبـــلا
يامن إذا عدّت مناقب غيـــــرهِ رجَحتْ مناقبه وكـان الأفضـــلا
إنّي لأعذر حاسديك علـى الـــذي أولاكَ ربّك ذو الجـــلال وفضَّـــلا
إن يحسدوك علـى عُلاك فإنّـــما متسافل الدرجات يحسـد مـن عـلا

الغدير: ج٦ ص٣٨٨.

السلام) يوصي ببذل النصيحة مطلقاً، قال (عليه السلام) (أمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة)[١] ويدعو إلى تقبّل النصيحة ولو كانت مرّة لقوله (عليه السلام) (مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش)[٢]، ويقول الإمام الباقر (عليه السلام) (اتبّع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحكك وهو لك غاشّ)[٣].

٥- **خبث المعدن والأصل وسوء السريرة** فيتحول إلى باطن خبيث يكره خصال الخير والنبل والكمال، لذا كان حب علي (عليه السلام) ميزاناً يميِّز بين من أصله طيّب أو خبيث، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن علي (عليه السلام) (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق)[٤]، وروى الترمذي في صحيحه بسنده عن أم سلمة قالت (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب/٣١.

(٢) غرر الحكم/ ٩٧٩٩.

(٣) المحاسن: ٢/ ٤٤٠ ح٢٥٢٦.

(٤) صحيح مسلم: ج١ ص٦١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، صحيح الترمذي: ٢/ ٢٩٩ وراجع مصادره لدى العامة في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢/ ٢٥٣.

٦- المصالح الدنيوية والامتيازات والانسياق وراء الشهوات، فيرى اللاهثون وراء هذه الدنيا الزائلة أنّ علياً (عليه السلام) حجر عثرة في طريقهم وقد عبّر (عليه السلام) عن هذه المخاوف المتبادلة بقوله (عليه السلام) حينما ودّع صاحبه البار أبا ذر الغفاري (لقد خفتهم على دينك وخافوك على دنياهم)، إنّ كثيراً ممن حاربوا علياً وأعلنوا عداوته يعترفون في السر بعلّو منزلته وقد سجل التاريخ الكثير من هذه الاعترافات لمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهما، سُئل مروان بن الحكم عن قتالهم لعلي (عليه السلام) وسبّه على المنابر وهل أنّه كان فعلاً شريكاً في قتل عثمان، قال مروان: ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي، فقيل له: ما لكم تسبونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك)[1].

نتيجة العداء:

هذا ما سجلناه من دواعٍ وأسباب، ولعله توجد غيرها يكتشفها المتتبع، ولكن ماذا كانت النتيجة، قال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال/٣٠٩) فكانوا كلما أوغلوا في معاداة

(١) الصواعق المحرقة: ص٥٥، وأنظر: انساب الأشراف: ج٢ ص٤٠٧.

علي (عليه السلام) وسبّه على المنابر والافتراء عليه والانتقاص منه كان علي (عليه السلام) يرتفع ويزداد تألّقاً حتّى اعترفوا بذلك.

قال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: (يا بنيَّ عليكم بالدين، فإنّي لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً هدمه الدين. ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبّون عليّ بن أبي طالب ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه، فلا يزيده ذلك من القلوب إلاّ قرباً، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك إلاّ بُعداً)[1].

أو كما قال قائلهم (لقد سببنا علياً سبعين سنة على المنابر فكأننا كنّا نأخذ بضبعيه ونرفعه إلى السماء)[2].

هذه الظاهرة المؤلمة في حياة البشر تتكرر أيضاً بدرجات متفاوتة طبعاً مع كل الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومع العلماء الربانيين العاملين المخلصين ولنفس الأسباب المتقدّمة، ممّا يوجب الحسرة الألم والاستنكار والاستغراب قال تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) (يس/٣٠).

(١)الإرشاد: ج ١ ص٣١٠، وبحار الأنوار: ج٤٢ ص١٩ .

(٢)الضبع وسط العضد من اليد.

لذا على العاملين الرساليين أن لا يستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه وأن لا يشعرهم كثرة أعدائهم بالإحباط واليأس فهذا دليل نجاحهم وتأثيرهم في الناس، ولو كانوا فاشلين ولا يمتلكون القدرة على الإصلاح والتغيير لما عاداهم أحد ولا حسدهم أحد.

الفصل السادس:

درس حركي من كلمة امير المؤمنين(عليه السلام):

(فزت ورب الكعبة) وصلح

الامام الحسن(عليه السلام)

درس حركي من كلمة امير المؤمنين (عليه السلام): (فزت ورب الكعبة) وصلح الامام الحسن (عليه السلام)[١]

الحمد لله كما هو اهله وصلى الله علة نبيه وسيد رسله ابي القاسم محمد وعلى اله المعصومين

الفوز بوعد الله تعالى:

نقف اليوم عند موقفين لأعظم قائدين في الاسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما امير المؤمنين والحسن المجتبى (صلوات الله عليهما) لنتأمل فيهما ونأخذ منهما درساً حركيا في بناء الامة الصالحة المطيعة لربها.

فعندما وقع امير المؤمنين (عليه السلام) في محراب الشهادة في مسجد الكوفة مضمخا بدمه الشريف قال (فزب ورب الكعبة)[٢] كان(عليه السلام) يريد انه فاز ببلوغه المقام المحمود الذي وعده الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) اوانه فاز بلقاء الله تعالى و رسوله الكريم (صلى الله

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر المبارك لسنة ١٤٣٢ التي امّها سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي يوم الاربعاء ٣١-٨-٢٠١١.

(٢) البحار: ج١ ٤ ص٢.

عليه وآله) والزهراء (صلوات الله عليها)، وفاز لأنه نجح في الامتحان وأنهى كل حياته على الاستقامة التي أرادها الله تبارك وتعالى ورسوله (ﷺ) وغيرها من المعاني .

نصرة الأمة شرط النهوض:

ولكننا ألان نريد أن نبين وجهاً آخر لهذه الكلمة الشريفة، نستفيد منه في العمل الحركي الإسلامي، ومن هذا الوجه ننطلق لفهم موقف الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية مما سمي صلحاً أو هدنة أو غيرها.

وبيان هذا الوجه يحتاج الى مقدمة ملخصها: إننا نعتقد أن الإمام المعصوم (عليه السلام) أولى من الناس بأنفسهم وأموالهم ، وان ولاية أمر الأمة ثابتة له (عليه السلام) واقعاً سواء قام بالأمر أو قعد عنه لمانع ما، ولذا ورد في الحديث النبوي الشريف (الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا)[1].

ولان ولاية أمر الأمة ممارسه عملية واسعة تدير شؤون الحياة بكل تفاصيلها فإنها تحتاج الى مؤازرة ونصرة، وقدرة لدى الانصار على تحمل المسؤوليات على مختلف مستوياتها كالعسكرية، و

(١) البحار: ج٤٤ ص٢.

السياسية، والاقتصادية، و الإدارية، و الفكرية، والإعلامية، و الاجتماعية، وغيرها، ومالم يجد الإمام العدد الكافي من القادرين على النهوض بمفاصل المشروع المخلصين له و المطيعين لأوامره ، فانه لا يتحرك بمشروعه في ولاية أمر الأمة وإدارة شؤونها مع انه حق حصري به ، خوفاً على الرسالة من الفشل و الضياع وتعريضها لضربةً قاضيةً من الأعداء.

لذا نعتقد إن عرض الأمة نصرتها الصادقة للمعصوم (عليه السلام) وقناعته بقدرتها على تحمل المسؤولية شرط ومقدمة لإعمال المعصوم هذا الحق وتنفيذه على الأرض، والشاهد على ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يقم دولته المباركة ويمارس صلاحياته في سياسة أمر الأمة في مكة بل في المدينة المنورة بعد أن بايعه أهلها في العقبة الأولى و الثانية واشترط عليهم أن ينصروه ويحموه كما يحمون نسائهم وأموالهم .

ولما لم يجد امير المؤمنين (عليه السلام) عدداً كافياً من الأنصار بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) اعتزل أمر الناس وتركهم وما أرادوا، فانقلبوا على أعقابهم لكنه (عليه السلام) استمرار في أداء وظائف الامامة الاخرى.

ولما وجد الأنصار بعد مقتل الثالث وانثال الناس عليه بالبيعة نهض بالأمر وولي أمر الأمة ، وقال (عليه السلام) في خطبته الشقشقية (أما والذي فلق الحبّه وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما اخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّةِ ظالم

، ولا سَغَبِ مظلوم ، لألقيت حَبلها على غاربها ، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّلِها ، وألفيتم دنياكُم هذه ازهد عندي من عفطَة عنز)[1].

وقد ورد في عدة روايات ان الاصحاب كانوا يطلبون من الائمة (عليهم السلام) القيام بالأمر خصوصاً في فترة الامام الصادق (عليه السلام) ، وكان الامام (عليه السلام) يُرجع السبب الى قلة الانصار ، وهو لا يعني بالضرورة قلة عدد الاصحاب والمضحين ، وانما قد يكون لقلة الاصحاب القادرين على النهوض بمسؤولية بناء الدولة وتطبيق شريعة الله تعالى في كل مفاصل الحياة ، وولاية شؤن الامة ، ولذا لم يصح مقايسة الامر مع نهضة الامام الحسين (عليه السلام) لان النتائج المطلوبة من الحركتين مختلفة و البحث عميق.

غياب الناصر:

وهذا الشرط كما هو ملاحظ في بداية النهوض بالأمر ، كذلك هو مطلوب لاستدامة التصدي ، فمتى ما شعرت القيادة الدينية إن الأمة قد تغيرت ، وانها لا تريد هذه القيادة وهذا النظام، ولم تعد مستعدة للدفاع عنهما ونصرتهما ، بسبب شقوتها وسوء اختيارها ولإنسياقها وراء الشهوات وتزيين الشيطان وتضليل الأعداء ، فان

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٣.

الإمام والقائد يعيد إليها أمرها وليتولاه من تشاء إن كانت لها أراده ، أو يتولاها من يقهر إرادتها ويتسلط عليها بالقوة .

النكوص الرسالي:

هذا النكوص و الانقلاب على الأعقاب عاشته الأمة في النصف الثاني من خلافة امير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن تثاقلت الى الأرض وأصغت الى المرجفين ، وبعد ان استشهد خيارها وصلحائها كعمار بن ياسر وذي الشهادتين وابن التيهان ومالك الاشتر ونظرائهم ، وخَفَتَ بريق الحماس و الوهج الذي استُقبِلت به حكومة امير المؤمنين (عليه السلام) ، وتقوضت أطراف دولته المباركة وانحسرت سلطته حتى حوصر في الكوفة وسط مجتمع متباين مشكك متردد متخاذل ، فمن خطبةً له (عليه السلام) لما تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، فقال (عليه السلام) موبخاً أصحابه لتثاقلهم عن الجهاد (ما هي الا الكوفة : اقبضها وابسطها، وان لم تكوني إلا أنت تهَبُّ أعاصيرك فقبحكِ الله)[1].

وكان هذا الخط التنازلي لطاعة الأمة وصلاحها مستمراً بالهبوط و الانحدار، وانه سيصل في لحظة ما الى الانهيار قال (عليه السلام) في

(١) نهج البلاغة، ج١، خطبة /٢٥.

نفس الخطبة (واني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتِهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة الى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم)[1].

معنى جديد لقوله (عليه السلام): فزت ورب الكعبة:

ولو وصلوا الى تلك النقطة، فلا يكون أمام امير المؤمنين (عليه السلام) إلا إرجاع أمرهم إليهم وفك الميثاق الغليظ بينه وبينهم بعد أن نكلوا بواجباتهم ، وهذا يعني تسلط معاوية على الأمة لأنه متربص بالأمر وأعدَّ له عُدتهَ من الأموال و الجيوش و المعدات و الإعلام المضلِّل و الدعاوى المقدسة لنفسه – ككونه خال المؤمنين و المطالب بدم الخليفة المقتول عثمان- ، وهذا ما كان يخشاه امير المؤمنين (عليه السلام) على الأمة ، ويدعو الله تبارك وتعالى أن لا يريه هذا الموقف ففي نفس الخطبة قال (عليه السلام) (اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأَبدِلهم بي شراً مني)[2].

وهذا الدعاء منه (عليه السلام) ليس فراراً من تحمل أي ذلة ومهانة ظاهرية في سبيل الله تعالى لأنه (عليه السلام) كان مستعداً لتحمل أي شيء في طاعة الله تعالى كما صبر على عدوان القوم على بضعة المصطفى

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٥.

(٢) السابق.

(عليها السلام) فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنصب عينيه وإنما لان قيامه (عليه السلام) هو شخصياً بهذا الموقف يعرض الاسلام و التشيع الى خطر جسيم، وقد حقق الله تعالى له (عليه السلام) أمنيته واستجاب دعائه فرزقه الشهادة قبل أن يبتلى بهذا الموقف ، فقوله (عليه السلام) (فزت ورب الكعبة)[1]، أي نجوت بفضل الله تبارك وتعالى من هذا البلاء العظيم ، ولم أبقى الى اليوم الذي أرى فيه معاوية يتحكم بأمور المسلمين ، وهو (عليه السلام) يرى الموت أهون عليه من رؤية فعل من أفعال معاوية فكيف يطيق تسلطه على رقاب المسلمين، فمن خطبة له (عليه السلام) لما أغارت خيل معاوية على الانبار وقتلوا وسلبوا وعادوا الى أهلهم سالمين قال (عليه السلام) (فلو إن امرأً مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديرا)[2].

بلاء الإمام الحسن (عليه السلام):

لكن الله تبارك وتعالى ادّخر هذا البلاء العظيم للإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام) ، إذ إن حال الأمة رجع الى التقاعس والخذلان وحب الدعة والسلامة والإخلاد الى الأرض ، ولم تنفع في إصلاحه الصدمة القوية باستشهاد امير المؤمنين (عليه السلام)، ولا الجرعة القوية

(١) البحار: ج٤١ ص٢.

(٢) نهج البلاغة، ج١، خطبة /٢٧.

بتصدي الإمام الحسن (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة الذي لم يستطع حتى معاوية وإعلامه المضلل من التشكيك في أهليته واستحقاقه.

ولم تمض الا عدة أشهر حتى وصل الحال بالإمام الحسن (عليه السلام) الى ما سأل أبوه (عليه السلام) من الله تعالى أن يعفيه منه ، حيث استسلم اقرب الناس إليه وقائد جيوشه الى إغراءات معاوية، وكتب بعض قادة جيشه الى معاوية[1] (أن إذا شئت تسليم الحسن سلمّناه إليك) ودبَّ اليأس و الشك و التردد في قواعده الشعبية، وكان تكليفه (عليه السلام) أن يعيد أمر الأمة إليها ويلقي حبلها على غاربها كما عبَّر امير المؤمنين (عليه السلام) ليقودها من يقودها الى الضلال.

علة صلح الإمام الحسن (عليه السلام):

وكان معاوية المتربص بالأمر قد قويت شوكته وازداد نفوذه وكثرت أنصاره وأمواله لذا كان من الواضح إن الأمر سيؤول إليه بحسب المعطيات الموجودة على ارض الواقع ، وهنا تصرف الإمام الحسن (عليه السلام) بحكمة وشجاعة ورحمة للبقية الباقية من شيعة أبيه (عليه السلام) وأنصاره، فحول هزيمة الامة هذه الى نصر وتحقيق مكاسب ، ولم

(١) انظر: البحار: ج٤٤ ص٤٧، وصلح الحسن: للشيخ راضي آل ياسين: ص٦٩.

يترك الامر مجاناً ومن دون مقابل يحفظ كيان الاسلام ويحمي ابنائه البررة فعقد اتفاقاً مع معاوية وأملى عليه شروطه التي تقتضي تسليم الأمر بعده الى الامام الحسن (عليه السلام)، وان لا يتعرض لشيعة أبيه بالسوء، وان لا يمنع عنهم أرزاقهم وان يخصّص مبالغ لعوائل الشهداء مع أبيه (عليه السلام)، وان يحكم على طبق كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وبذلك فقد صنع الإمام الحسن (عليه السلام) من تقاعس الأمة وخيانتها وتخاذلها نصراً حققه (عليه السلام) له ولشيعته.

واقل ما يتحقق من هذا النصر إذا لم يفِ معاوية بالشروط – والإمام يعلم انه لا يفي بشيء منها – هو فضح معاوية وكشف زيف دعواه ورفع الغشاوة عن أبصار المضلَلينَ به الى قيام يوم الدين ، واحسَّ معاوية في الأيام الأولى بالفضيحة التي أوقعه فيها الإمام الحسن (عليه السلام) لذا كشف عن حقيقته بمجرد دخوله الكوفة بعد توقيعه على شروط الإمام الحسن (عليه السلام) وقال لهم: (إني ما قاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم)[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٤٦.

حقيقة الصلح الحسني:

فموقف الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن صلحاً مع معاوية ولا هدنة ولا أي شيء آخر مما يرتبط بمعادلة الصراع معه ، وإنما هو مرتبط بطاعة الأمة و التفافهم حول قيادتهم وبمقومات قيامه بولاية أمر الأمة، واذا ورد لفظ الصلح في الوثيقة فليس هو معنى الصلح بالمصطلح العسكري و السياسي ، بل بالمعنى المعروف فقهياً الذي هو الاتفاق بين طرفين على أمر ما.

وهذا المعنى لا يفهمه إلا من مارس القيادة وفهم بمقدار استحقاقه سيرة الأئمة المعصومون (عليهم السلام)، وتعرض لمستوى من المستويات لما تعرضوا له.

نتائج الدرس:

ومن نتائج هذا الدرس:

١- تصحيح فهم موقف الامام الحسن (عليه السلام) ودفع ما قيل من الشبهات.
٢- بيان وحدة الهدف و المسؤولية التي تحملها الائمة المعصومين (عليهم السلام)، وان كانت مواقفهم مختلفة ظاهراً بحسب اختلاف ظروفهم ولو كان ايٌّ منهم مكان الاخر لاتخذ نفس الموقف.
٣- ايضاح هذا الشرط لإعمال ولاية المعصوم (عليه السلام) ومن بعده نائبه الفقيه الجامع للشرائط وبذلك نجيب عن جملة من

الاشكالات كتعدد الولي الفقيه او وجوب طاعته اذا اعلن عن نفسه كولي لأمر المسلمين ونحوها.

٤- اعطاء درس للامة لكي تلتفت الى إن تخاذلها وتقاعسها واستسلامها للشكوك و الظنون يجعل امير المؤمنين يتمنى الموت ويرى ضرب رأسه بالسيف فوزاً، ويدفع تخاذل الأمة الإمام الحسن (عليه السلام) الى اتخاذ ذلك الموقف الذي لم يستطع تحمله الكثير من أصحابه المقربين ، والله ولي التوفيق.

\

الفصل السابع:

ماذا تعلمنا من أمير المؤمنين (عليه السلام)

ماذا تعلمنا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١]

أهمية ذكر المناقب:

جرت العادة أن تتضمن الاحتفالات في مثل هذه المناسبات الشريفة[٢] ذكر مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ومكارمهم كميلاد أمير المؤمنين في الكعبة وهي حالة لم يسبقه إليها أحد ولن يلحقه بها أحد وهي حقاً شرف عظيم له ولوالدته السيدة الهاشمية الجليلة فاطمة بنت أسد التي قال عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنها أمي بعد أمي[٣]، وقد غفل أرباب المعاجم والسيَر مع كل الأسف التأليف في سيرة هذه المرأة العظيمة وتحدثنا عنها بشيء من التفصيل في مثل هذه المناسبة قبل سنوات[٤].

---

(١) تقرير حديث سماحة الشيخ مع الوفود التي هنأته بميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنهم رابطة الأطباء والعشرات من ذوي المهن الصحية في العمارة يوم ١٢ رجب ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٨/١٨. وأعيد تسجيلها لقناة النعيم الفضائية في شعبان/ ١٤٣٤ المصادف حزيران/٢٠١٣.

(٢) كيوم ميلاد أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي صدر هذا الخطاب بمناسبته.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٥٦.

(٤) خطاب المرحلة: ج٢ ص٥١.

وذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ضروري لتعزيز إيمان المؤمنين وإقامة الحجة على المنكرين، ولمواجهة السعي الحثيث الذي يقوم به خصوم أهل البيت لطمس مآثرهم ومع ذلك ظهر منها ما يُحيّر الألباب حتى قال القائل: (ما أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائله وأخفت أعداؤه فضائله حسدا وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين)[1]، إذن لو كُتب التأريخ بأمانة وموضوعية وحفظه وتناقله المنصفون لرأيت من ابن أبي طالب العجب العجاب.

محاولات بائسة للنيل من الإمام علي(عليه السلام):

ولقد اتبع خصوم عليّ (عليه السلام) مختلف الوسائل الخسيسة والخبيثة في هذه المواجهة، فيرصد معاوية لسمرة بن جندب أربعمائة ألف درهم كي يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ..﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٥) نزل في علي بن أبي طالب وأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة:٢٠٧) أنزل في عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي[2].

---

(١) أنظر أعيان الشيعة: ج٦ ص٦٨ ٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤ ص٧٣، وسفينة البحار: ج١ ص٦٥٤.

وهكذا زوّروا التأريخ وحرّفوه ودسّوا فيه ما يوافق أهواءهم ومصالحهم فقالوا أن حكيم بن حزام ولدته أمه في الكعبة برواية تحمل كذبها في طيّاتها، وكان لمسجد الكوفة باب يسمى باب الثعبان منه انساب الثعبان ليهمس في إذن أمير المؤمنين وهو يخطب في المسلمين في المسجد ويعود، ولم يرُق لمعاوية هذا الإعجاز فربط إلى هذا الباب فيلاً بعد دخوله الكوفة اثر صلح الإمام الحسن (عليه السلام) فشاع بين الناس انه باب الفيل ونُسيَ اسمه الأول[1].

سبيل المواجهة في إحياء مجالس أهل البيت (عليهم السلام):

فإحياء ذكر أهل البيت (عليهم السلام) وتعداد مناقبهم أمر ضروري لمواجهة هؤلاء الذين يغيّرون الكلم من بعد مواضعه لأن هذا الذكر ليس تأريخاً يتلى ولا أرشيفا يوضع في المتاحف، وإنما هو منهل يرده القادة والمصلحون والمفكرون والعلماء والمربّون وطلاب الحق والخير وهو نبراس يضيء للبشرية طريق العقيدة الحقّة والأخلاق الفاضلة والحياة السعيدة، ولم يتركوا لنا شاردة وواردة إلا وقنّنوا لها الحالة الصحيحة حتى في الأمور الحياتية العادية التي لا يلتفت إليها الناس كالأكل والجماع والتخلي والنوم ودخول الحمام ونحوها مما تفتقده الشرائع الوضعية وتعجز عن تلبية الحاجات البشرية.

---

(١) أنظر: أعلام الورى: ص١٧٩، والإرشاد للمفيد: ص١٨٣- ١٨٤.

الإحياء الواعي:

والذي أريد أن أقوله هنا أن إحياءنا لهذه المناسبات لا ينبغي أن يكون أرشيفيا تراثياً تأريخياً وإنما يجب أن يكون إحياء واعياً يستمد من الماضي ما يعين على الحاضر ويخطط للمستقبل؛ ليكون أكثر فاعلية في حياة الأمة.

ومن ذلك ما فعلته قبل ثلاث سنوات[1] في مثل هذه المناسبة حينما اخترت عنوان (من هم شيعة علي بن أبي طالب) الذين نزل فيهم قوله تعالى في سورة البيّنة ﴿أولَئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧) وفسّرها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجابر أنهم عليّ وشيعته إذ لا يكفي أن يولد الإنسان من أبوين شيعيين أو يعيش في بيئة شيعية، أو يؤدي شعائر الشيعة ليدخل في هذا العنوان الشريف بحيث يقول الإمام (عليه السلام) (إنما شيعة علي: الحسن والحسين وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار)، لذا كان علينا أن نجري دراسة تحليلية استقرائية في أحاديث أهل البيت (عليه السلام) لنستنبط منها أوصاف وخصائص شيعة علي (عليه السلام) والعناصر المكونة لشخصية المسلم من منظور أهل البيت (عليهم السلام)، والمحاضرة منشورة في كتاب (نحن والغرب) و (شكوى الإمام (عجل الله فرجه)[2].

(١) أنظر: خطاب المرحلة: ج١ ص٣٠٩.

(٢) انظر: خطاب المرحلة: ج١ ص٣٠٥.

ماذا تعلمنا؟

واليوم نريد أن نسأل أنفسنا باعتبار أننا نوصف بشيعة علي (عليه السلام) والتشيع يعني المشايعة والمتابعة فنقول: (ماذا تعلمنا من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب؟) فإن الله تعالى حثنا على التأسّي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستنان بسنته الشريفة فقال عز من قائل ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١) وعليٌّ اخو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنوه، فالآية تدعونا إلى التأسّي بأمير المؤمنين (عليه السلام)، خصوصاً وأن التأسي تعلَّق بموقع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تقل الآية (في محمد) أي شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالتأسي حالة مطلوبة من الأمة دائماً ضمن علاقتها مع قادتها الصالحين الذين هم ورثة الأنبياء وحصون الإسلام.

فهل تعلمنا من علي إخلاصه لله تبارك وتعالى وتكريس حياته الشريفة فيما يرضي الله تعالى، من دعائه (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (أن تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً وحالي في خدمتك سرمداً)[1]، ويقول

(١) مفاتيح الجنان: دعاء كميل بن زياد.

(عليه السلام): (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة فان الجنة فيها رضا نفسي، والجامع فيها رضا ربي)[١].

فهل تعلمنا من علي شجاعته في كل الميادين فصولته في ساحات القتال معلومة وفي قول كلمة الحق حينما قال الخليفة الثاني: ماذا تفعلون لو دعوتكم إلى ما تنكرون وما لا تعرفون من الشريعة؟ فقال (عليه السلام): إذن لقوّمناك بسيوفنا[٢].

هل تعلمنا من عليّ أمانته على المال العام ونزاهته حينما كان يأخذ عطاءه كواحد من المسلمين وهو رئيس الدولة ويأتيه أخوه عقيل طالباً المساعدة لأنه كثير العيال وقد أملق حتى عاد أولاده شعثاً غبراً فأرجأه إلى أوان عطائه فيعطيه فقال: وما يصنع لي عطاؤك أريد من بيت المال فأحمى حديده وقرّبها إليه فجزع عقيل من حرّها فقال له كلماته العظيمة: (أتئنُّ من حديدة أحماها إنسانها لِلعبه وتجرّني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه)[٣].

ووقف على منبر المسلمين ليسنّ للحكام قانون محاسبة المسؤولين وإجراء الجرد المالي لممتلكاتهم قبل توليهم وبعده فيقول (عليه السلام): (لو خرجت منكم بغير هذه القطيفة التي جئتكم بها

---

(١) البحار: ج٨٠ ص٣٦٢.

(٢)المناقب، للخوارزمي، ٩٨ – ٩٩، راجع كتاب دور الأئمة في الحياة الإسلامية: ص٢٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٢٤.

من المدينة لكنت خائناً)[١] وفي بعض الروايات انه (عليه السلام) غلظ على احدى بناته لأنها استعارت حلية من بيت المال لتتزين بها يوم العيد وتردها، وحذرها بأنها لو لم تردها أقام عليها حد السرقة[٢].

فلم يكن بحاجة إلى هيئة نزاهة أو ديوان الرقابة أو المفتش العام أو أي شيء آخر مما اضطرت إليه الدول المتحضرة اليوم لكثرة الفضائح واختلاس الأموال العامة والرشاوى تحت عناوين متعددة فضلاً عن غيرها بل يقف هو أمام مواطنيه ليحاسب نفسه.

هل تعلمنا من علي (عليه السلام) شعوره بالمسؤولية عن كل رعاياه وحمله هموم كل الناس في شرق الأرض وغربها فيقول: (أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)[٣]، وقال (عليه السلام): ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع)[٤].

هل تعلمنا من علي رحمته وشفقته حينما مرّ على دار في الكوفة وسمع أطفالاً يبكون لم يهمل الحالة فطرق الباب، خرجت امرأة سألها عن سبب بكاء الأطفال قالت: أن أباهم استشهد في صفين وبقيت وحدي لهم وأنا حائرة بين إسكاتهم وخبز أقراص لهم فبكى

---

(١) أنظر نحوه في: الكامل في التأريخ: ج٣ ص٣٩٩.

(٢) الوسائل: ج٢٨ ص٢٩٢.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب: ٤٥

(٤) السابق.

أمير المؤمنين لحالهم ولما تسبّب به تمرد معاوية من إزهاق أرواح الآلاف وجاء (عليه السلام) بتمر ولوز وأخذ يضاحك الأطفال ويلاعبهم وتفرغت المرأة للخبز وهو يقول[1]:

ما إن تأوهتُ من شيءٍ رُزِئتُ به
كما تأوهتُ للأيتام في الصغرِ
قد مات والدهم من كان يكفلهم
في النائبات وفي الأسفار والحضرِ

ما أحوج البشرية اليوم إلى رحمة علي بن أبي طالب والى من يمسح على رؤوسهم بيد حانية بعد أن عبثت بها مخالب المستكبرين والجشعين والمستبدين والطغاة فإلى من تفزع؟

وهل تعلمنا من علي بن أبي طالب مبدأيته وعدم مساومته على الحق، تولّى الخلافة في ظرف عصيب والمدينة تعجّ بالغاضبين الناقمين ويتربص بها الانتهازيون والمنافقون وأعداء الإسلام والمسلمين فعزل الولاة السابقين وأرسل آخرين وفق معاييره، فقال عبد الله بن عباس لو تركت معاوية على الشام حتى تستتب لك الأمور فتعزله من موقع قوة، وهو عملٌ ربما يقوم به كل السياسيين وفق حسابات

(١) البحار: ج٣٣ ص٤٧ قريب منه.

المصالح إلا أن علياً لم يكن يعمل لحالة مؤقتة حتى يخضع لحساباتها وإنما يؤسس لمُثل إنسانية عُليا تبقى مشعلاً يضيء للبشرية طريق السمو والكمال فلا غرو أن يضحي بالحسابات الدنيوية كما ورد عن ابن عباس قال: أتيت علياً (عليه السلام) بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً فقلت له بعد أن خرج عنه: ما كان يقول لك هذا؟ فقال: قال لي قبل يومه: إن لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وإن الرأي اليوم يحرز ما في غد وأن الضياع اليوم يضيع به ما في غد وأشير عليك بشور وهو أن تقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على عملهم حتى تأتيك بيعتهم وتسكن الناس ثم اعزل من شئت منه وأبقي من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدنية في أمري، قال: فإن كنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية فإن لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يطيعونه ويسمعون منه وذلك حجة في إبقائه فإن عمر بن الخطاب ولاه الشام في خلافته فقلت: لا والله لا أستعمل معاوية يومين...)[1].

هل تعلمنا من علي عدالته وإنصافه للناس ، ففي الرواية انه استعدى رجل على علي بن أبي طالب (عليه السلام) عمر بن الخطاب وعلي جالس فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٨ ص٦٢٩، ومروج الذهب: ج٢ ص٣٦٣.

علي عليه السلام إلى محله ، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيراً! أكرهت ما كان؟ قال نعم قال: وما ذاك قال: كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك! فاعتنق عمر علياً، وجعل يقبل وجهه، وقال بأبي أنتم! بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور)[1].

ويمر في طريقه في الكوفة على شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال)[2].

هل تعلمنا من علي (عليه السلام) نكران ذاته وتقديم المصلحة العامة على الشخصية، فإنه صاحب أعظم حق في الإسلام وهي خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنص قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)، ولما رأى الأمة غير واعية لهذه المسؤولية ولا مستعدة لتحملها ورأى أن إصراره على استحصال حقه يوقع في الأمة فتنة كبيرة ليس هو المسؤول عنها وإنما الذين خالفوا وصية نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فآثر الإعراض بعد إلقاء الحجة على الأمة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧ ص٦٥.

(٢) الوسائل: ج١٥ ص٦٦.

ومع ذلك لم يبخل على الحكام بالنصيحة والمؤازرة، وحين عزم الخليفة الثاني على الخروج لملاقاة الفرس استشار أصحابه فأشاروا عليه بذلك إلا أمير المؤمنين فإنه قال: (إنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك)[1] فالصحيح أن تبقى في المدينة ردءاً وفئة تسعفهم وتمدّهم بالرجال والمؤونة وتبعث إليهم من أهل الحزم والشجاعة.. إلى آخر وصيته التي أخذ بها الخليفة. أما السياسيون اليوم فإن همهم إسقاط المنافسين لهم وإن كان على حساب الأمة والوطن والدين.

أقول: هذا وأنا أعلم أن علياً قمة سامقة فاق من قبله إلا ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واتعب من بعده فلم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق وقد قال للناس:(ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد)[2].

فمن كان له برنامج عمل لا يستطيع أن يحققه كله فإنه ينفّذ ما يتيسر له ويطمح للارتقاء لاستيعاب الباقي وهكذا فإن علياً يمثل أرقى برنامج حياتي إنساني فلنضعه نصب أعيننا ونُجهد أنفسنا للتأسّي

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٤٦.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب: ٤٥.

به وسيوفقنا الله تبارك وتعالى ويأخذ بأيدينا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨).

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩).

الفصل الثامن:
مع الحكم العلوية، وما نستوحيه منها في حياتنا السياسية والاجتماعية

قصم ظهري رجلان[١]

من محن أمير المؤمنين (عليه السلام):

بالرغم من أن أمير المؤمنين (عليه السلام)تعرض لمحن وكوارث عديدة كان منها خروج الرموز الاجتماعية الكبيرة المنتسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة الجمل، واستطاعوا بذلك اقتطاع شريحة كبيرة من الأمة، ثم تمرد معاوية وممارسته للتظليل بخبث ومكر، ثم فتنة التشكيك التي وقع فيها الخوارج وارتكبوا أفظع الجرائم حيث قتلوا عبد الله ابن الصحابي الجليل خبّاب بن الأرت وقتلوا زوجته الحامل وبقروا بطنها واستخرجوا جنينها فقتلوه.

المحنة الكبرى:

وكل ذلك كلف الأمة عشرات الآلاف من الضحايا الذين كانوا يمكن أن يكونوا قوة عظيمة للإسلام، ولمشروع أمير المؤمنين الإصلاحي وقد تفتّت لذلك قلبه الشريف وذاب، حتى صار يتمنى الموت ومع ذلك لم يعبّر عن شيء منها كما عبّر في حديثه الشريف: (قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك)[٢]، وهو (عليه السلام)

---

(١) من حديث سماحة الشيخ مع وفد ناحية الإصلاح وأور في محافظة ذي قار ومنطقة معمل الورق في البصرة يوم ٨ / ج٢ / ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/٧/١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠ ص٢٤٨.

حينما يقول (رجلان) يقصد تيارين في المجتمع يمثلهما هذان العنوانان، وهما العلم الذي يكون خاضعاً للنفس الأمارة بالسوء وعدم تربيتها التربية الصالحة والانسياق وراء شهواتها والثاني هو الجهل والسذاجة والتخلف المتلبس بلباس الدين فتنعدم عند كليهما القدرة على اتخاذ الموقف الصحيح لأنهما يفتقدان البصيرة التي تدلهما على الهدى، فيضِلان، ويُضلان معهما أمة كبيرة تُخدَع بعلم الأول الذي يراد به غير الله تعالى، وبتنسك الثاني الممزوج بالجهل والحماقة.

سبب ضعف الأمة وتمزقها:

وهاتان الظاهرتان هما سبب ضعف الأمة وتمزقها وتمكن الأعداء الخارجيين وسيطرتهم على الأمة، ويساهم هذان الرجلان في إبعاد الأمة عن مسيرتها الصحيحة وقيادتها الحقيقية ويضللان الناس.

أما الأول فبعلمه الذي لم يوظفه للهدى والصلاح، والثاني بنسكه الظاهر وتقدسه الفارغ من الوعي والبصيرة والحكمة، وشواهد هذين التيارين كثيرة عبر التأريخ. وهذا ما تعيشه الأمة إلى اليوم، فكيف سنستطيع مواجهة الأعداء الخارجيين ونحن نختزن هذين المرضين اللذين ينخران في جسد الأمة حتى يقضيا عليها ويجعلاها فريسة للطامعين.

الدعوة الإلهية لمواجهة هذين الخطرين:

وقد نبّه الله تبارك وتعالى عباده إلى هذين الخطرين ووضع لهما العلاجات التفصيلية، فحثّ على التعلم والتدبر والتفكر والحوار والجدال بالتي هي أحسن، واتباع العلماء ونبذ الجهل والتقليد الأعمى للآباء والموروثات الاجتماعية والتعصب للرأي، وكذا فعل الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في المئات من الأحاديث الشريفة.

ودعا الله تبارك وتعالى كثيراً إلى مخالفة النفس والهوى وعدم الانصياع لغوايتها وتزيين الشيطان، ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَفْسَ عَنِ الهَوَى، فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧-٤١).

احذروا مشتهيات النفس:

وقد فهم الأخلاقيون من الآية الشريفة عدم اتباع هوى النفس وما تشتهيه حتى في الأمور المحللة إذا وجد شيئاً أفضل منها، فمثلاً حينما يريد الإنسان أن يستريح من حرّ الصيف والانقطاع الطويل للكهرباء وصعوبة الحياة فيسافر إلى أوربا أو الدول المجاورة لقضاء فصل الصيف، فإنه لم يفعل محرماً ولكن ألم يكن الأجدر به أن يواسي أهله وإخوانه ويشاركهم صعوبة الحياة وينفق هذه الملايين في قضاء حاجة مؤمن أو تزويج شباب يعانون من الكبت الجنسي، أو

يعالج مريضا يشكو من حالة مستعصية ولا يجد ثمناً للعلاج، فهذه مرحلة أرقى من درجات نهي النفس عن الهوى تزيد العبد قرباً إلى الله تبارك وتعالى.

قصة عبد الله بن المبارك:

يروي لنا التأريخ عن عبد الله بن المبارك أنه كان يحج سنة ويعمر سنة، وداوم عليه على ذلك خمسين سنة، فخرج في بعض سني الحج وأخذ معه خمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة ليشتري جمالاً للحج، فرأى امرأة علوية على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة، قال: فتقدمت إليها فقلت: ولم تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عما لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء، فألححت عليها فقالت: يا عبد الله قد ألجأتني إلى كشف سري إليك. أنا امرأة علوية ولي أربع بنات يتامى، مات أبوهن من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً، وقد حلت لنا الميتة، فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي يأكلنها، قال: فقلت في نفسي: ويحك يا ابن المبارك أين أنت عن هذه؟ فقلت: افتحي حجرك، ففتحت فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام ثم تجهزت إلى بلادي فأقمت حتى حج الناس وعادوا، فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي، فجعل كل من أقول له: قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لي: وأنت قبل الله

حجك وشكر سعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر الناس علي في القول، فبت متفكرا فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وهو يقول لي: يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت أن تحج وإن شئت لا تحج)[1].

إن الله تبارك وتعالى بعث ملكاً على صورة ابن المبارك ليؤدي المناسك ويهب ثوابها إلى ذلك الرجل الذي تنازل عن رغبته النفسية بالحج رغم استحبابها العظيم، وساعد أسرة علوية محتاجة بالمبلغ المخصص لتلك العبادة. فحصل على ثواب الحج إضافة إلى ثواب إنقاذ تلك الأسرة المؤمنة.

فعلى الأمة أن تلتفت إلى هذين العدوين الكامنين في داخلها، وهما اتباع الهوى وقلّة الوعي، وإلا فإن الأمة سوف لا تهتدي إلى طريقها ولا تتعرف على قيادتها الحقيقية التي تريد لها الخير والتي وصفتهم الأحاديث الشريفة بأنهم سفن النجاة.

---

(١) البحار: ج٤٢ ص١١، عن تذكرة الخواص.

استئثار السلطة والعنف السياسي[١]

استئثار السلطة وعدم صبر المحكوم:

توجد ظاهرتان في العلاقة بين السلطة والشعب هما السبب في حصول الفجوة والافتراق بينهما وتعمل عدة عوامل أخرى على توسيعها وتأجيجها، هما استئثار الحكام وعدم صبر المحكوم، فإذا التفت المتسلطون إلى أنانياتهم وكرّسوا جهدهم للتفرد بمغانم السلطة وجني المكاسب الشخصية مما يسبّب الحيف والظلم والجور على عامة الشعب الذين قد يصبرون على مستوى معين من الحرمان والتعسف لكن صبرهم لا يستمر إلى ما لا نهاية، وعندما يصل الحرمان من ابسط حقوق الحياة الإنسانية الكريمة إلى درجة لا تطاق فإن الصبر والتصبّر لا يجدي حينئذٍ وينفجر الوضع، وهذا ما عبر عنه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج شاهراً سيفه)[٢].

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع عدد من العلماء والأساتذة من السنة والشيعة الذين حضروا ندوة (واقعة الغدير... الدلالات والمعطيات) التي عقدتها المؤسسة الإسلامية للدعوة والتبليغ والإرشاد بالتعاون مع البيت الثقافي التابع لوزارة الثقافة في النجف الأشرف يوم ٢٢/ذو الحجة/١٤٢٧ المصادف ٢٠٠٦/١/١٢ بمناسبة ذكرى عيد الغدير المبارك.

(٢) أنظر البحار: ج٧٠ ص٢٤٧، وفي ظلال نهج البلاغة: ج٤ ص٢٨٤.

هاتان الظاهرتان جمعهما أمير المؤمنين(عليه السلام) حينما سُئِل عن قضية مقتل الخليفة عثمان فأجاب (عليه السلام) باختصار (استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع)[1].

فلو لم تستأثر بطانة الخليفة بعائدات الدولة الإسلامية ووزعت الحقوق على أصحابها بعدالة وإنصاف أو على الأقل كفلت للرعية الحد المعقول من مستوى المعيشة لما حصلت الفتنة ، ولو أنَّ الناس حين حرمت من بعض حقوقها التي يمكن التنازل عنها صبرت على الحال وكظمت غيظها لتجنبت ما هو أسوا حيث حصل ذلك الجرح العميق في جسد الأمة الذي ظل ينزف دماً إلى اليوم.

لنتأسى بالحكمة والوعي:

وهو(عليه السلام) في الشق الثاني من جوابه يشير إلى إنهم لم يتأسوا به (عليه السلام) في كيفية تصرفه إزاء تلك الظاهرتين حيث ضرب (عليه السلام) لنا أسمى المُثل لمعالجتها، فحينما غصب حقه في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الثابت له بالنص أولاً وبالاستحقاق ثانياً حيث كان من الواضح لدى جميع الصحابة أفضليته عليهم حتى اشتهر عن الخليفة الثاني عمر قوله (لا أبقاني الله

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٣٠.

لمعضلة ليس لها أبو الحسن)[١] وقول عبد الله بن العباس حبر الأمة وترجمان القران كما يصفونه لما سئل عن مقارنة علمه بعلم علي(عليه السلام) قال (وعلم علي من علم النبي وعلمي من علم علي وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر)[٢]، وهم يروون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقواله الشريفة (أعلمكم علي)[٣] (أقضاكم علي)[٤] (علي مع الحق والحق مع علي)[٥] وغيرها مما رواه الفريقان.

ومع هذا كله فقد صبر عليٌ (عليه السلام) وتحَّمل وكان ناصحاً للخلفاء ويسدد حركتهم بالمشورة الصائبة، كنصيحته للخليفة الثاني بأن لا يخرج بنفسه لقتال الفرس في القادسية حتى لا يستكلبوا عليه ويقولوا هذا رأس العرب إن قتلناه تخلصنا منهم واستمع الخليفة لنصيحته بعد أن أشار عليه الصحابة بالخروج وهكذا مواقفه الأخرى، وبقي خمسة وعشرين عاماً مقصياً عن الحكم لكن دوره الايجابي العظيم في حفظ هيبة الدولة الإسلامية ووحدة الأمة وسموها

(١) البحار: ج١٠٩ ص٣٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٣١٠.

(٣)الكافي: ج٧ ص٤٢٤، تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٠٦، خصائص الأئمّة (عليهم السلام): ص٨٤.

(٤)الاستيعاب: ج٣ ص٣٨ هامش الإصابة، مواقف القاضي الإيجي: ج٣ ص٢٧٦، شرح ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٣٥.

(٥)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢ ص٢٩٧.

وازدهارها بقي معطاء زاخراً ولو كان خرج بالسيف ودعا إلى نفسه والتّف حوله شطر من الأمة الوليدة لكان مصيرها الاندثار.

ولما اجمع أهل الحل والعقد على استخلافه مع امتناعه الشديد أثار عليه الفتن والحروب من كانوا بالأمس مستأثرين بفيء الأمة وترك احدهم بعد وفاته من الذهب ما يكسر بالفؤوس، وخرجوا من المدينة وقد حملوا على الإبل صناديق جمعوا فيها تلك الأموال لما سمعوا علياً يصعد المنبر بعد توليه السلطة يقول (ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم ، فإن الحق قديم لا يبطله شيء ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لو وجدته قد تزوج به النساء ومُلِكَ به الإماء وتفرق في البلدان لرددته على حاله فإن في الحق والعدل لَسِعةً، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق ، وأقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم)[1].

وعلق عليه أحد المؤرخين[2] (وكانت هذه الخطبة مما سُرَّ به وسكن إليه المؤمنون المخلصون وأهل الحق والبصائر ، واستوحش منه المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، وكل من تطاعم الأثرة أو كان في يده شيء منها لما تواعد به صلوات الله عليه من استرجاع ذلك من أيديهم ، ورده إلى بيت مال المسلمين).

---

(١) أنظر البحار: ج٣٢ ص١٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٦٩.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعماني المغربي ٣٧٣/١.

وقال (عليه السلام) (وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً)[١].

النهي عن الاستئثار في الحكم:

وكان مما يوصي به عمّاله على الولايات الابتعاد عن الاستئثار والاختصاص بشيء دون الرعية مما يفترض مساواتهم فيه، فقد جاء في عهده العظيم إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر قوله (عليه السلام) (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولّهم محاباة وأثرة، فإنهما جماعٌ من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة) [٢].

أي كلّفهم بالولاية والإدارة بعد امتحانهم وإثبات نجاحهم لا محاباة ومجاملة وميلاً منك لهم وأثرة أي استبداداً بلا مشورة ، فإن المحاباة والأثرة من مصاديق الجور والخيانة. ويقول (عليه السلام) له (وإياك و الاستئثار بما الناس فيه أسوة)[٣] أي لا تختص لنفسك بامتيازات ومنح يفترض أن الناس سواسية فيها.

وهذا ما وضّحه الإمام الحسين (عليه السلام) حينما حلّل الخلفية التاريخية لثورته المباركة في كتابه إلى رؤوس الأخماس في

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ج٣ ص٥٨٣، الكتاب: ٥٣.

(٣) السابق.

البصرة (أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله اصْطَفى مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) عَلى خَلْقِه، وَأَكْرَمَهُ بِنُبُوَّتِه، وَاخْتارَهُ لِرسالَتِه، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْه، وَقَدْ نَصَحَ لعبادِه، وَبَلَّغَ ما أُرْسِلَ بِه (صلى الله عليه وآله) وَكُنّا أَهْلَهُ وَأَوْلِياءَهُ وَأَوصِياءَهُ وَوَرَثَتَهُ، وَأَحَقَّ النّاسِ بِمَقامِه فِي النّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنا قَوْمُنا بِذلِكَ، فَرَضينا وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَأَحْبَبْنَا الْعافِيَةَ، وَنَحنُ نَعْلَمُ أَنّا أَحَقُّ بِذلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنا)[1].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحذّر أمته من استئثار الحكّام بعده فعندما ورد معاوية المدينة المنورة وخرج صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنصار لاستقباله سألهم هل أخبركم النبي عن هذا الحال الذي انتم فيه قالوا نعم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (إنكم ستلقون بعدي أثرة قال معاوية: وبماذا أوصاكم؟ قالوا: أوصانا بالصبر قال معاوية -بتهكم- إذن فاصبروا)[2] وشرحها ابن الأثير في النهاية فقال أي (يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء)[3].

---

(١) تأريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٠، مثير الأحزان: ص٢٧، بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٤٠، أشار المصدران إلى آخر الحديث فقط، أعيان الشيعة: ج١ ص٥٩٠ ، وقعة الطفّ: ص١٠٧.

(٢) كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي: ص٣٨٦، والبحار: ٣٣ ص٢٨٥.

(٣) البحار: ج٣٣ ص٢٨٥.

الانفصام بين الشعب والحاكم:

وهاتان الظاهرتان تفسران الكثير من حالات العنف وانفصام العلاقة بين السلطة والشعب، وحينئذ ينزلق البلد إلى الهاوية وينشغل بصراعاته الداخلية وتبدأ الحكومة بصرف ثروات البلد على حماية نفسها من غضب الجماهير وتحيط نفسها بأسيجة عديدة من الجلاوزة والمأجورين وتصرف عليهم المال الكثير، بينما لو أنفقت بعضه القليل على مصالح الشعب لما احتاجت إلى كل هذا الهدر للأموال.

وهذه الحقيقة يتعامى عنها كل الساسة من الطواغيت والظلمة والمستبدين والمستأثرين. فمثلا الولايات المتحدة حينما مضت لوحدها في حساب مصالحها خسرت اقرب حلفائها وهم دول الاتحاد الأوربي التي ذهبت بعيداً إلى اتخاذ مواقف لا مبرر لها إلاّ معارضة سياسات الولايات المتحدة التي تحذّرها من التغريد خارج سربها[1].

ومثل الأزمة القلقة التي تعيشها لبنان بسبب هذه الظاهرة وكذا كل الدول التي لا تعيش الشراكة الحقيقية لكل مكونات الشعب في الحقوق والواجبات.

ومن أوضح أمثلتها ما يعيشه العراقيون اليوم من قتل وتدمير وتخريب للبلاد بسبب استئثار بعض الكيانات السياسية المهيمنة على القرار بثروات البلد وخيراته وتوجيهها للقرارات بما يحلو لها وفق

---

(١) إشارة إلى تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية في لندن قبل أيام (من هذا الخطاب) تلمح لقرار فرنسا بإرسال مبعوث لمناقشة الملف النووي الإيراني.

مصالحها من دون اكتراث لحقوق للآخرين من دون أن يصبر الآخرون ويعطوا للوسائل السلمية والسياسية حقها ولا يجعلون آخر الدواء الكي، فسقط العراق في هذا المستنقع الآسن لا لشيء إلا هذه المصالح المتعارضة وإن حاول كل فريق أن يلبس ثوباً ينفعه في تحشيد اكبر عدد من ورائه كثوب الطائفية أو القومية والحقيقة غير ذلك إذ إنهم لا يعرفون إلا مصالحهم الخاصة.

سمو موقف المرجعية:

لقد علّمت المرجعية الرشيدة هؤلاء المستأثرين درساً في السمو والنبل حين أمرت أبناء الفضيلة بالانسحاب من تشكيلة الحكومة لتريهم أن ما يتصارعون عليه هو وهم زائل وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تسفك الدماء و تخرب البلاد وتهجّر العوائل الآمنة ونعطل الحياة من أجلها.

ورغم انسحابهم فقد أمرتهم المرجعية بالتصويت بـ (نعم) في البرلمان عند التصويت على نيل الحكومة ثقة البرلمان لإعطائها الفرصة حتى تعمل كل ما يصلح حال الشعب ويبني البلد.

وهذا الموقف لا يفهمه هؤلاء المتسلطون الغارقون في أنانياتهم كما لم يفهم الكثيرون سمو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وربما خطأوه في تصرفاته، ولا يستطيع أحد أن يجاهد نفسه

ويتخذ هذه المواقف الحكيمة إلا إذا تربّى في مدرسة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونهل من أدابة وعلومه ومعارفه.

فمتى يثوب السياسيون إلى رشدهم ليعوا هذه الحقيقة؟

كيف نخرج من حالة الفشل والتقاعس[١]

تعليمات عسكرية:

من وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لجيشه في ساحة القتال (أجزأ امرؤٌ قِرنه، وآسى أخاه بنفسه، ولم يَكِلْ قِرنَه إلى أخيه فيجتمع عليه قِرنهُ و قِرنُ أخيه)[٢]

القِرنْ: هو الخصم الذي يبارز الرجل ويقاتله باعتبار أن صيغة القتال يومئذٍ هي بالمبارزة رجلاً لرجل، فالإمام(عليه السلام) يطلب منهم أن يواجه كل رجل خصمه، ولا يتقاعس عنه، لأن عدم مواجهته تعني تفرغه فينضمّ إلى آخر من أصحابه ويجتمعان على مقاتلة واحد من أصحاب الإمام (عليه السلام) وتكون المهمة أصعب، بينما يطلب الإمام(عليه السلام) من كل جندي من أصحابه أن يكفيهم خصمه، ثم يواسي أخوته ويؤازرهم على مواجهة أقرانهم، قال (عليه السلام) (وأيُّ امرئٍ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأشٍ عند اللقاء، ورأى من أحدٍ من إخوانه فشلاً، فليذبَّ عن أخيه بفضل نجدته التي فُضِّل بها عليه، كما يُذبُّ عن نفسه، فلو شاء الله

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع وفد ضمّ إدارة وطلبة جامعة الصدر الدينية / فرع البنوك في بغداد يوم ٢ ربيع الأول ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٢/٢٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٢٣.

لجعله مثله)[1].

واجه خصمك في الحياة كلها:

وهذه الوصية منه (عليه السلام) وإن كانت واردة في المواجهة العسكرية، إلا أنها في الحقيقة جارية في كل المواجهات والمسؤوليات، فإذا لم يقم أحدٌ بواجبه فستحصل إحدى نتيجتين: إما إهمال ذلك الواجب وتضييعه، أو اجتماع هذا الواجب على أخيه الذي يشاطره المسؤولية إضافة إلى واجبه الأصلي، وفي كل من النتيجتين ظلم وقد قيل في الأدب (من الظلم سعي اثنين في قتل واحدٍ).

وكمثال على ذلك فإن العائلة التي فيها عدة أفراد يختلفون بينهم بالشعور بالمسؤولية، والمفروض توزيع واجبات الأسرة عليهم كالإنفاق عليها أو قضاء حوائجها وتسيير شؤونها، فالمتكاسل من هؤلاء يترك واجباته ويبقى نائماً حتى الظهر مما يضطر الشاعر بالمسؤولية إلى قيامه بواجبه وواجب أخيه الذي ضيّعه لعدم إمكان التفريط به فلا يدعه ضميره وشعوره بالمسؤولية قبول الإهمال والتضييع.

واجبات الرسالي:

ونحن اليوم في منعطف تاريخي يحدّد ملامح المستقبل لفترة لا

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٢٣.

يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى، وتواجهنا تحديات ضخمة ومنوعة وهي تقتضي قيامنا بمسؤوليات واسعة.

لا يسع الإنسان المؤمن الرسالي المخلص الغيور على دينه ومجتمعه وحضارته ومستقبله أن يتخلى عنها فإذا تقاعس عنها الآخرون فإنه لا يعدّ ذلك التقاعس مبرراً لترك واجباته بل يحاول أن يسدَّ الفراغ الذي تركه الآخرون ويحمل نفسه ما لا تطيق. لأنه لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي إزاء تلك التحديات.

السياسة تأريخ حاضر:

ومما يبعث على الأسى ويملأ القلب ألماً إصابة الأمة بحالة من التقاعس والكسل والفشل تقرب من الموت وإذا أردتُ الاستفادة من التاريخ الذي يصفونه بأنه سياسة ماضية باعتباره يسجل تاريخ حركة الأمم والحكومات والصراع على السلطة والأحداث التي مرت عليها، ويصفون السياسة بأنها تأريخ حاضر باعتبار أن التاريخ يعيد نفسه وأن السنن التي جرت في الأمم السالفة جارية في الأمم اللاحقة لأن الدوافع واحدة والمنطلقات التي تقود إلى الأحداث والسلوكيات واحدة، أقول إذا أردت تشبيه حالة الأمة اليوم بحالة سابقة فإنها تحكي حالتها في أخريات أيام أمير المؤمنين (عليه السلام) وزمان الإمام الحسن (عليه السلام)، حين عصفت بها الفتن والشبهات ولعب حب الدنيا بعقولها، ومالت إلى الدعة والراحة والسكون والترهل والاكتفاء

بترتيب أحوالها الخاصة واللامبالاة بأمور الدين والمصالح العامة، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يستنهض الهمم ويثير العزائم بكل ما أوتي من عناصر التأثير والهداية والإصلاح فلا يجد مجيباً حتى أصبح يتمنى الموت ليتخلص منهم ويدعو (عليه السلام): (اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني)[1]، فاختاره الله تبارك وتعالى لجواره وخلّف عليهم معاوية، واستمرت تداعيات ذلك التقاعس حتى اضطرّ الإمام الحسن(عليه السلام) إلى توقيع وثيقة الهدنة وإيقاف القتال، وانطلق معاوية ليعيث فساداً فقتل خيار شيعة أمير المؤمنين(عليه السلام) وقطع أرزاقهم وشتّت شملهم وولّى عليهم يزيد من بعده، ثم آل الأمر إلى أن يقدّم الإمام الحسين(عليه السلام) نفسه الشريفة وأهل بيته وأصحابه قرابين لإصلاح حال الأمة وبعث الصحوة والحياة فيها، وهكذا استمرت التداعيات.

ونقرأ في التاريخ أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان القائد العام لجيش الإمام الحسن (عليه السلام) أرسل له معاوية أربعمائة ألف درهم ووعده بوعود إن ترك الإمام والتحق بمعاوية، فاتبع هواه والتحق بمعاوية، ونعجب من مثل هذا التصرف ولكن أشهدكم بالله كم من شخص اليوم حصل على موقع سياسي أو

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٥.

وظيفي أو ديني أو اجتماعي باسم المرجعية، فلما استقر وضعه أدار ظهره لها وللناس الذين رفعوه إلى هذا المقام وانشغل بمصالحه الشخصية وأنانيته فما الفرق بين الموقفين؟

احذروا أن تنكثوا عن المشروع الرسالي:

إنني أعيذكم أيها الإخوة أن تستمروا على هذا الحال وتكونوا كذلك الجيل، وسبباً في نفس النتائج ـ والعياذ بالله ـ فإن التاريخ سيسجّل، والله ورسوله والمؤمنون مطّلعون ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ لقد بلغ الكسل حداً حتى عن حضور صلاة الجمعة الشعيرة المقدسة الواجبة التي لم يضاهها شيء من الواجبات، مضافاً إلى الثواب العظيم والمغفرة التي أُعدّت لمن سعى إليها مثل (ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرّم الله جسدها على النار)[1] و(من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل)[2] وغيرها كثير. فبماذا نصف من لا يحركه وجوب ولا مثل هذا الثواب العظيم، ولا الشعور بالمسؤولية تجاه المشروع الإسلامي المبارك ليحضر صلاة الجمعة التي هي أبسط عمل يؤديه؟

---

(١) الوافي: ج٨ ص١١١٥.

(٢) السابق: ص١١١٤.

كيف تؤدي مسؤوليتك؟

وإذا سألت ما أنا وما خطري حتى أطالب بالنهوض بالمسؤولية الضخمة؟ فإن جوابك بسيط يبدأ من الكلمة التي افتتحنا بها الحديث وذلك بان يقوم كل شخص بمسؤوليته وواجبه المكلف به بحسب وضعه، وسيفتح الله تبارك وتعالى له آفاق جديدة للعمل، ولنبدأ بالمثال الذي ذكرناه وهو صلاة الجمعة فاعزم على حضورها والالتزام بها وعدم التقاعس عن المشاركة فيها، وحينئذٍ ستلتقي مع إخوة مؤمنين وستتبادل معهم الأحاديث والهموم والقضايا وحينئذٍ ستجدون أمامكم أفكاراً ومشاريع ورؤى تتوسع تدريجياً بفضل الله تبارك وتعالى، فلربما ستهتدون إلى مشروع اقتصادي أو مؤسسة اجتماعية أو خيرية لمساعدة الناس، أو تقتني كتاباً مفيداً أو تطلع على مسألة ابتلائية تنفع بها إخوانك وهكذا.

وقد دلّنا أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا الأسلوب من الاهتداء للعمل، قال (عليه السلام) في خطبة الوسيلة(الاهتمام بالأمر يثير لطيف الحيلة)[1] فإن الإنسان قد يجد نفسه لأول وهلة عندما يريد كتابة بحث أو تأليف كتاب أو إنشاء مشروع اقتصادي في السوق وكأنه لا يعرف ماذا يعمل ومن أين يبدأ، ولكنه حينما يفكّر في المطلوب ويكرّس نفسه له ويضع قدميه على خط البداية يجد ضوءاً يدلّه على

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٢٨٩/٧٤.

الخطوة التالية وهكذا تتوالى الخطوات وتثار في ذهنه (لطائف الحيل) والتدابير والبرامج والخطط العملية حتى يجد نفسه وقد أسس شيئاً لم يكن يتوقعه، كالتاجر مثلاً يدخل السوق ويجالس التجار ويعرف أساليب العمل ومداخلات السوق والعناصر المؤثرة فيه والمساحات الناجحة والثغرات والمعوّقات وهكذا مع همّة وإخلاص وإذا به في النهاية يرى قد حقّق له وجوداً محترماً في السوق.

المرجعية الرشيدة معكم:

وإذا أضفنا إلى ذلك أنك لست وحدك في الميدان بفضل الله تبارك وتعالى بل لك إخوة عاملون وتسندك مرجعية لا تتوقف عند حدود المواقف العريضة. بل تشاركك حتى النظر في التفاصيل وآليات العمل وخذ لك مثلاً الخطبة الثانية لعيد الأضحى المبارك عن تنشيط القطاع الخاص وإيجاد البدائل.

واليوم وبعد عدة أشهر وبعد تصاعد الأزمة المالية العالمية وضيق الخناق الذي فرضته على ميزانية هذا العام عقدت الحكومة (مؤتمر بدائل التنمية)[1] في بغداد وأعادوا نفس الأفكار التي تحدثنا بها في

(١) عقد في بغداد يوم الأربعاء ٢٩ صفر المصادف ٢٠٠٩/٢/٢٥ بحضور رئيس الوزراء نوري المالكي ووزراء التخطيط والنفط والتجارة والعلوم ومتخصصون دعوا إلى دعم القطاع الخاص وإيجاد بدائل للنفط كمصدر للثروة، وقال وزير التخطيط: قبل نصف قرن كان ٨٠٪ من وارد النفط يصرف على الاستثمار و٢٠٪ في التشغيلية

الخطبة.

نسأل الله تعالى رضاه وحسن العاقبة والتوفيق لما يحب وأن يصلح حالنا بحسن حاله، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

واليوم بالعكس.

أقول: هو عين ما أورده سماحة المرجع (دام ظله) في خطبة عيد الأضحى، والتي كانت بعنوان: (رقابة المرجعية على ميزانية ٢٠٠٧ سلطت الأضواء على فساد المتسلطين)، خطابات المرحلة: ج٥ ص٦٧.

التفكيك بين تقييم الشخص وتقييم عمله[١]

قاعدة في السلوك الاجتماعي:

روى لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعطينا فيه قاعدة من قواعد السلوك الاجتماعي والتعامل مع الآخرين، ويعالج لنا مشكلة تمزّق المجتمع وتغذي البغضاء بين أبنائه.

فمن خطبة له (عليه السلام) قال: (واعلم أنّ لكل ظاهرٍ باطناً على مثاله، فمن طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويحبّ العمل ويبغض بدنه).

واعلم أنّ لكل عملٍ نباتاً، وكل نبات لا غنى به عن الماء، والمياه مختلة، فما طاب سقيُه، طاب غرسُه وحلَت ثمرته، وما خبث سقيُه، خبث غرسُه وأمّرت ثمرته)[١].

---

(١) محاضرة سماحة الشيخ اليعقوبي على طلبة بحثه الشريف يوم الأحد ٢٣ صفر ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/١/٦.

وورد هذا الحديث في رواية أوردها الشيخ الطوسي (قدس سره) عن الإمام الباقر (عليه السلام) وفيها قوله (أما علمت أنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله)[٢].

تحليل في صحة الرواية:

أقول: يلاحظ فرق بين النصين في الفقرة الثانية وهو الشخص المبغوض، إذ وصفه نص نهج البلاغة بالبدن ونص الأمالي بالعبد، وبرأيي القاصر فإن نص الشريف الرضي في نهج البلاغة هو الأصح، والوجه في ذلك يظهر من خلال الالتفات إلى أمور:

١- إنّ رواية نهج البلاغة وصفت الشخص المبغوض بالبدن ولم تصفه بالعبد فهو كسائر الأبدان والأجساد المادية الخالية من الصفة الإنسانية الحقيقية وهي العبودية لله تعالى (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان/٤٤) فهو لا يستحق أن يوصف بالعبودية التي هي أسمى صفة للإنسان، وبها كرّم الله تعالى نبيه

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٥٤) في فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، أوّلها ((وناظر قلب اللبيب)).

(٢) أمالي الطوسي: ٦١٦، الجزء الرابع عشر في أخبار إبراهيم الأحمري.

المصطفى (صلى الله عليه وآله) حين أمر بذكره في تشهّد وتسليم الصلاة بالعبودية ثمّ الرسالة (وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله) أمّا نصّ الأمالي فقد وصف الشخص المبغوض بالعبد وهو لا يستحقه.

٢- إن نص نهج البلاغة استعمل لطيب الباطن والظاهر (مَنْ) وهي تستعمل للعاقل بينما استعمل (ما) للمبغوض وهي تُستعمل لغير العاقل فيناسبه لفظ البدن غير العاقل لا العبد الذي يحمل تمام العقل.

٣- إن نص نهج البلاغة قدّم المحبوب بالذكر في كلا الفقرتين (حب العبد وحب العمل) وهو الأليق، بينما قدّم النص الثاني الشخص وإن كان مبغوضاً.

معنى الرواية:

وعلى أي حال فإن معنى كلامه (عليه السلام) باختصار:

إن ما يصدر من الإنسان من تصرفات وأفعال ومواقف إنما يعكس حقيقة هذا الشخص وباطنه وذاته، قال (عليه السلام) في كلمة

أخرى (ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)[1] وكما قيل في المثل المعروف (وكل إناء بالذي فيه ينضح).

وقد أعطى (عليه السلام) في ذيل كلامه مثالاً لهذه المعادلة ووسيلة الوصول إلى الباطن الطيب، فإن العمل كالنبات فيه طيب حلو وفيه خبيث مر، فإذا كان الماء الذي يسقي الزرع والأرض طيباً كان الزرع طيباً حلواً، وإلاّ كان مراً خبيثاً، وهكذا النفوس إذا سُقيت من معينٍ نقي للمعرفة والعلم والأخلاق كانت صالحة طيبة، وإلاّ فستكون خبيثة.

تمييز الإنسان الصالح:

وبالعودة إلى الحديث النبوي الشريف، فإنه تستفاد منه قاعدة لتمييز الإنسان الصالح من الفاسد، لأنّ الأول لا يترشح منه إلاّ فعل الخير بعكس الثاني، فيُقيّم الإنسان وتعرف حقيقته من خلال الحكم على أفعاله.

لكن -وكما قيل- فإنّ لكل قاعدة شواذاً، فإنّ الإنسان الصالح -عدا المعصوم (عليه السلام)- قد يصدر منه فعل سيء يبغضه الله تعالى إما لغفلة، أو لضعف في المناعة والعصمة والإرادة، أو لغلبة

(١)نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم ٣٦.

الهوى والشهوة وتزيين الشيطان أو لسوء تقدير، أو لتأثّر بأقران سيئين، أو لضعف أمام تهديدات وإغراءات ونحوها من أسباب السقوط في المعاصي.

وإن الشخص الفاسد قد يقوم بفعل محبوب لله تعالى كمساعدة محتاج أو رعاية يتيم أو قضاء حاجة إنسان آخر ونحوها، لتأثره بجو إنساني وعاطفي عام، أو لبقية حياة في ضميره أو بتأثير إنسان صالح يحبّه وهكذا.

حلحلة الإشكال:

وبهذا نحلّ الإشكال الذي قيل على سياق الحديث، وحاصله: إنّ الحديث النبوي الشريف ينافي الفقرة السابقة عليه وهو ينقض المطابقة بين الظاهر والباطن التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام): وملخص الجواب: إنّ هذا الإشكال مبني على كون الحديث النبوي شاهداً على ما أورده من القاعدة، فيُجاب الإشكال بأنّ الحديث ذكر للإشارة إلى الاستثناء من القاعدة، وليس استدلالاً على نفس القاعدة.

توجيه السيد حبيب الله الخوئي:

وقيل في توجيهه شيء آخر ذكره العلاّمة السيّد حبيب الله الخوئي شارح نهج البلاغة، قال (قدس سره): ((وإنما الإشكال في

ارتباط هذا الكلام لسابقه و في استشهاد الامام عليه السّلام به مع أنّه لا مناسبة بينهما ظاهرا ، و ليس للاستشهاد به وجه ظاهر ، بل منافاته لما مرّ أظهر من المناسبة كما هو غير خفيّ، إذ لازم محبّة اللّه للعبد كون العبد طيّبا ، و لازم بغضه لعمله كون العمل خبيثا فلم يكن الظّاهر موافقا للباطن ، فينافي قوله عليه السّلام: فما خبث ظاهره خبث باطنه.

وكذلك مقتضى بغض اللّه سبحانه لبدن الكافر كونه خبيثاً، و حبّه لعمله كون عمله طيّبا ففيه أيضا مخالفة الظّاهر للباطن، فينافي قوله : فما طاب ظاهره طاب باطنه.

والذي سنح لي في وجه الارتباط و حلّ الإشكال بعد التّروي وصرف الهمّة إلى حلّه أيّاما و الاستمداد من جدّي أمير المؤمنين عليه و آله سلام اللّه ربّ العالمين هو أنّه لّما ذكر أنّ ما هو طيّب الظّاهر طيّب الباطن و ما هو خبيث الظّاهر خبيث الباطن ، عقّبه بهذا الحديث النّبوي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تنبيها و إيقاظا للسّامعين بأنّ العبد قد يكون نفسه محبوبا و عمله مبغوضا ، و قد يكون بالعكس كما أفصح عنه الرّسول الصّادق المصدّق.

فاللاّزم له إذا كان محبوب الذّات للّه سبحانه و مبغوض العمل أن يجدّ في تحبيب عمله إليه تعالى حتّى يوافق نفسه عمله في المحبوبيّة ،

و إذا كان محبوب العمل مبغوض البدن أي الذّات أن يجدّ في تحبيب ذاته إليه كي يوافق عمله نفسه.

والغرض بذلك الحثّ على تطبيق الظّاهر للباطن في الأوّل وتطبيق الباطن للظّاهر في الثّاني في المحبوبيّة حتى يكونا طيّبين ، و يفاز إلى النّعيم الدّائم والفوز الأبدي، و لا يعكس حتّى يكونا خبيثين مبغوضين له تعالى، فيقع في العذاب الأليم و الخزي العظيم ، و قد زلّت في هذا المقام أقدام الشّراح و المحشّين)[1].

التوجيه المناسب:

أقول: هذا المعنى صحيح في نفسه، وإن كان يحتاج إلى مقدمات لاستظهاره من الحديث الشريف وحل الإشكال به.

ونذكر هنا وجوهاً أخرى بحسب فهمنا القاصر لسبب إيراد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الحديث في ذيل كلامه المذكور وهي كالنتائج والثمرات المستفادة من هذا الحديث الشريف، ومنها:

١- أراد (عليه السلام) أن يمنع من اعتماد الشخص على هذه القاعدة فيعتقد أنّه ما دام مؤمناً فإنه لا يصدر منه إلاّ

(١)منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٩/٢٤٨.

الفعل الحسن فيأخذه العجب ويغفل عن مراقبة نفسه ولا يحسب لاحتمال ضعف النفس وغواية الشيطان، فنبهه الإمام إلى إمكان الوقوع في الفعل المبغوض مهما كانت درجة إيمانه -عدا المعصومين (عليه السلام)- فلا يركن إلى نفسه.

وكذا زرع الأمل في نفوس السيئين بأنّهم مهما كانت درجة انحطاطهم فإنّه يمكن أن يصدر منهم الفعل الحسن فلا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمة الله تعالى ولطفه وعليهم أن يسعوا للقيام بالفعل الحسن وإن كانوا فاسقين، قال تعالى (يَا عِبَادِيَ الّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رّحْمَةِ اللّهِ) (الزمر/٥٣).

٢- إن هذا التطابق بين الظاهر والباطن لابد أن يتحقق ويكون تاماً لأنّه غير قابل للتفكيك لأن الظاهر صورة للباطن، كالمطابقة بين الصورة في المرآة وصاحبها، حيث لا يتصور عدم المطابقة بينهما، فإذا حصل شيء على خلاف هذه القاعدة، فإنه يُعالج بما يعيد فاعله إلى هذه القاعدة.

فالمؤمن إذا صدر منه فعل مبغوض إلى الله تعالى فتح له باب التوبة والاستغفار وطلب العفو حتى يمحو ذلك الخطأ ويعود إلى المسار الصحيح، وقد يحتاج الأمر

إلى أن يُبتلى ويعاقب بمرض أو مصيبة أو همٍّ أو خسارة وغيرها مما ذُكر في كفارات الذنوب، قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورة/٣٠).

والكافر الذي ليس له في الآخرة من خلاق، إذا صدر منه فعل يحبّه الله تعالى أعطى جزاءه في الدنيا مما يحبّه ويرغب فيه ويعمل من أجله لكي لا يبقى له استحقاق عند الله تعالى ويعود التطابق بين الظاهر والباطن.

لأنّ الحب والبغض بالنسبة إلى الله تعالى ليس بالمعنى المعروف عندنا نحن البشر لتنزهه سبحانه عن ذلك، وإنما يعني آثارهما من الثواب والعقاب وهذا معنى صحيح أكّدته روايات كثيرة.

٣- إن ذكر الحديث النبوي الشريف للمنع من الحكم على شخص ما بأنّه صالح أو غيره، ومحبوب عند الله تعالى أو مبغوض من فعل واحد أو فعلين بالاستناد إلى هذه القاعدة، بأن يقال: إنّه لو كان صالحاً لما صدر منه الفعل السيء، ولو كان مبغوضاً عند الله لما صدر منه الفعل المحبوب، فأتى (عليه السلام) بالحديث النبوي ليفيد أنّه قد

يصدر منه الفعل السيئ وهو محبوب عند الله تعالى، وقد يقوم بالفعل المحبوب وهو مبغوض عند الله تعالى.

نعم يمكن الحكم عليه إذا تحوّلت أفعاله إلى سيرة مستمرة وغالبة عليه، فإنها تكشف عن ملكة راسخة بهذا الاتجاه أو ذاك، وهذا ما ذكره الفقهاء في معنى العدالة من انها ملكة نفسية راسخة تُثمر استقامة على جادة الشريعة.

٤- إنّ العبد مهما تظاهر على خلاف باطنه فإنه سيعود إليه وتنكشف حقيقته وتتحقق المطابقة بين الظاهر والباطن، فقد يصدر من الشخص السيئ فعل حسن بتصنع ورياء وخداع، ويصدر من الإنسان الصالح فعل سيء، لكن كل واحد منهما لابد أن يعود في النهاية والخاتمة إلى ما يطابق باطنه مهما طال الزمن، قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (الإسراء/٨٤).

والتاريخ حافل بأسماء أشخاص كانت حياتهم مملوءة بالفسق والابتعاد عن الله تعالى لكنّهم خُتم لهم بالخير لأنّ أصلهم ومعدنهم كان كذلك كبشر الحافي والحر الرياحي مثلاً، ويوجد أمثلة كثيرة للعكس من ذلك كإبليس اللعين الذي كان مع الملائكة وعبد الله تعالى ستة آلاف سنة ثمّ خُتم له بالشقاء، وهذا لا ينافي الاختيار لأنّ كلاً منهما باختياره فعل ما يوجب له تلك الخاتمة.

٥- إنّه (عليه السلام) إنما ذكر الحديث لمعالجة مشكلة موجودة في المجتمع تحكم العلاقات بين الناس ومنشأها عدم التفكيك بين تقييم الشخص وتقييم فعله أي تطبيق الملازمة المذكورة في كلام الإمام (عليه السلام) من دون الالتفات إلى الاستثناء، والمشكلة هي إن أحدنا إذا اختلف مع شخص آخر أو لم يرتضِ فعلاً من أفعاله فإنه يرفضه جملة وتفصيلا ويعاديه ويشنّع عليه.

مشكلتنا اليوم هي التمزق:

فالمشكلة التي نعاني منها وتمزّق وحدة المجتمع هي التوسع من رفض الفعل إلى رفض نفس الفاعل، وبدل الاعتراض على الفعل نفسه كحاله يتحوّل إلى رفض الشخص كلياً وتسقيطه وتفسيقه وإلغائه ولو كان إنساناً مؤمناً ملتزماً بالخط العام للشريعة، وفي هذا خروج عن القواعد الشرعية وتجاوز للحدود (وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الطلاق/١) (وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ) (البقرة/٢٢٩).

وبالمقابل فإذا أحسن له شخص بفعل ما فإنّه يتحوّل عنده إلى إنسان محبوب وإن كان معروفاً بابتعاده عن الشريعة، فالإمام يدعو إلى

التفكيك بين ذات الشخص وفعله وعرض كل منهما على ميزان التقييم بمعزل عن الآخر، فإذا كانت ذاته وباطنه صالحة فلا يجوز لك تسقيطه في المجتمع لموقف استنكرته منه، أو أخطأ فيه فإنّ المؤمن قد يقع في الخطأ والخطيئة ثم يتوب ويصلح شأنه ويعود قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) (الأعراف/٢٠١) فلا يجوز انتهاك حرمة المؤمن لفعل سيء صدر منه.

هذه مشكلة مهمة نعاني منها يعالجها الإمام (عليه السلام) بالالتفات إلى هذا الحديث الشريف، فلتكن عندنا رويّة وحكمة في تعاملنا مع الآخرين، ولا نتورط أمام الله تعالى في تسقيط الآخرين ورفضهم والتشهير بهم لموقف اختلفنا فيه معهم وهذا الدرس الذي أردت بيانه واستفادته من الحديث النبوي الشريف.

تسقيط الآخرين لنا:

وقد شهدنا في شهري محرم وصفر الحاليين[1] تسقيطاً وتشهيراً من البعض لأنهم لم يوافقونا على بعض المواقف التي اتخذناها ونعتقد

(١) شهد شهري محرم وصفر من العام ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣م الكثير من الأخذ والرد ممن لم يرق لهم أن يصدر سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) توجيهاته بمنع التطبير، وإرشاد الزائرات المؤمنات أن لا يبرزن للزيارة مشياً لأيام طويلة وبدون محرم معهن، بالنظر لما يتضمنه طريق المشي للحسين (عليه السلام) من احتكاك مباشر مع

أن فيها رضا الله تعالى وصلاح الأمة، وقد أصبحت هذه الحالة السيئة منتشرة بكل أسف والمفروض بمن يعمل وفق تعاليم المعصومين (عليهم السلام) أن يفكّك بين الفعل وذات فاعله حتى لو اعتقد أن ما صدر منه كان سيئاً.

أفعال العبد الظاهرية تشكل باطنه:

ولا تفوتني الإشارة إلى أنّ المعروف والمتداول إن الظاهر انعكاس للباطن، وإن الباطن هو الأصل والظاهر مظهر له وكاشف عنه، لكن لا يبعد أن يستظهر العكس من الخطبة الشريفة لقوله (عليه السلام) (واعلم أن لكل ظاهرٍ باطناً على مثاله) أي أن الباطن يتشكل وفق الأفعال التي تصدر من العبد، فإن الشخص صاحب الباطن السيء يستطيع أن يتكلّف القيام بأفعال صالحة وهذا يغيّر باطنه تدريجياً إلى الصلاح وإن كان ليس كذلك قبل ذلك، وبالعكس فقد يكون له باطن صالح لكن قام بأفعال سيئة من دون أن يتوب ويستغفر ويندم فيفسد باطنه.

الرجال لصعوبة المنام أو الحصول على سيارة النقل وسط الزحام الذي يبلغ أوجه في زيارة الأربعين بقرابة ١٥ مليون زائر، وما في المتن ما تعودناه من خلق سماحة الشيخ (دام ظله) وورعه عن الاجترار واللوك بالمعاصي والاغتياب، وتراه يسطر كلماته في أن يبرر للآخرين موقفهم، وإن كان من شيء فبالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذا معنى صحيح وموافق للروايات التي مضمونها: إذا أذنب العبد صارت في قلبه نكتة سوداء، فإذا لم يتب وأذنب ثانياً صارت في قلبه نكتة ثانية وهكذا حتى يسوّد القلب ويموت فلا يرجى منه الخير والعياذ بالله تعالى.

يوم النزاهة والعدالة والنظام

أسبوع أمير المؤمنين (عليه السلام):

يمكن أن نسمي هذا الأسبوع (بين الثامن عشر من ذي الحجة والخامس والعشرين منه) بأسبوع أمير المؤمنين (عليه السلام) وإن كانت الأيام كلها تشهد لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالمناقب والفضائل، حتى أحدهم سُئل عن فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ما أقول في رجل كانت له في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة، قيل له وكيف كان ذلك قال: أليس أن سلام الملائكة على الإنسان منقبة، وقد روينا أنه في ليلة معركة بدر حينما أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) ليجلب الماء من آبار بدر التي سيطر عليها المشركون وفي طريق عودته كانت تأتي ريح عاصف تأخذ القربة من يده وتريق ماءها على الأرض وتكرّرت الحادثة ثلاث مرات وفي الرابعة أوصل الماء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه وسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سبب تأخره (وكم سائلٍ عن أمره وهو يعلمُ) وشرح له الحال قال (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة يسمعون: اعلم يا علي أن الريح الأولى كان فيها جبرئيل وألف من الملائكة نزلوا للسلام عليك وكان في الثانية والثالثة ألفان آخران مع ميكائيل وإسرافيل[1].

(١) أنظر مفاتيح الجنان: أعمال الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان.

لكن العادة جرت بتحديد أيام للاحتفال بعظماء الأمم والقضايا المؤثرة في مسيرة حضارتها. وقد شهد هذا الأسبوع كما هو معلوم بيعة الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) ولياً وهادياً وإماماً للأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي الرابع والعشرين والخامس والعشرين منه تصدّق أمير المؤمنين بالخاتم و باهَلَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) به وبزوجه الصديقة الطاهرة الزهراء وولديه الحسنين (سلام الله عليهم أجمعين) نصارى نجران ونزلت سورة (هل أتى) أو (الدهر) أو (الإنسان) في حقّهم[1].

وسائلٍ هل أتى نصٌ بحق عليٍ
أجبته (هل أتى) نص بحق علي

مناسبة رجوع الحق الى أهله:

وتوجد مناسبة أخرى قلَّ من يلتفت إليها وهي مناسبة إعادة حقه في الخلافة الظاهرية ـ كما يعبّرون ـ وبيعة الناس له بإجماعٍ لم يكن له نظير، قال ابن الأثير في تاريخه (الكامل): قتل الخليفة عثمان يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة وبويع لعلي (عليه السلام) يوم الجمعة الخامس والعشرين سنة ٣٥ للهجرة، ويوم تسلّم أمير المؤمنين

(١) أنظر: مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

(عليه السلام) الحكم هو بحق يوم العدالة والنزاهة والمبادئ والفضائل ونظام الحكم الأمثل وإقامة دولة الحق والعدل لو وجد من استثمر تلك النعمة وحافظ عليها وعمل على إدامتها وصيانتها، وكان من كلماته (عليه السلام) لّما بويع بالخلافة معلناً إعادة الأموال العامة والعقارات والأراضي الزراعية التي أقطعها عثمان لحاشيته ومستشاريه وأقربائه (ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مالٍ أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددتُه، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[1] وقال (عليه السلام) في تفسير تصدّيه لإدارة شؤون الأمة (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماسَ شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمَنُ المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك)[2] فإذا وجد يوم أو أسبوع يستحق أن تحتفل به الإنسانية يوماً للعدالة والنزاهة والشفافية مع الأمة وإعادة الحق إلى نصابه فهو يوم الخامس والعشرون من ذي الحجة الذي يُتوّج أسبوع أمير المؤمنين(عليه السلام).

---

(١) نهج البلاغة،ج١، الخطبة ١٥، وذكرت بقية الخطبة من مصادرها الأصلية في كتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) :١/٣٥٠

(٢) نهج البلاغة، ج١، الخطبة ١٣١